الرابطة

شهرية - علمية - ثقافية - تصدرها رابطة العالم الإسلامي

السنة ٥٦ العدد ٦٤٤ رمضان ١٤٤١هـ - مايو ٢٠٢٠م

الرابطة

السنة ٥٦ العدد ٦٤٤ رمضان ١٤٤١هـ - مايو ٢٠٢٠م

» الرابطة تدشن برنامجاً لتوزيع السلال الغذائية والتمور في باكستان «

» الرابطة تدعم دولاً إسلامية وغير إسلامية لمواجهة كورونا «

رمضان كريم

خصائص شهر رمضان

ينتظر المسلمون بشغف قدوم سيد الشهور وأفضلها «شهر رمضان المبارك»، يسألون الله تعالى أن يبلغهم إياه، يستعدون لصيامه، يتباشرون بقدومه، ويهنئ بعضهم بعضًا بقبوله والسلام والأمن فيه. ويُقبلون فيه على الطاعات والعبادات؛ لما يعلمون من عظيم فضله وتعدد خصائصه، ورغبة في التعرض لنفحات الله فيه. في الأثر «إن لربِّكُم عز وجل في أيَّام دهركم نفحاتٍ فتعرضوا لها، لَعلَّ أحدَكُم أن تُصيْبَه منها نفحَةٌ لا يشقى بعدها أبدا». جامع الأحاديث للسيوطي.

يستقبل المسلمون شهرًا خصه الله بالتشريف والتكريم بنزول القرآن وجميع كتبه فيه «شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ». عن واثلة بن الأسقع أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أنزلت صحف إبراهيم أول ليلة من شهر رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من شهر رمضان، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة مضت من شهر رمضان، وأنزل الزبور لثمان عشرة خلت من شهر رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من شهر رمضان». رواه أحمد، والطبراني، والبيهقي في شعب الإيمان.

ويستعد المسلمون لصيام شهر فُرِضَ صيامُه عليهم «كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ»، وجُمِعَتْ لهم فيه أمهات الطاعات من الفرائض، والواجبات، والسنن، والمستحبات، كصيام، وصلاة، وزكاة، وتلاوة، وذكر، ودعاء، وإطعام للفقراء، واعتكاف، وغير ذلك من أنواع الحسنات.

أنعِمْ به وأكْرِمْ بعبادَةٍ لا يقع فيها الرياء، ولم يُعْبَد بها غير الله تعالى، ولا يؤخذ منها للخصماء يوم القيامة، كما ورد في الحديث الصحيح «الصَّوْمُ لِـيْ وَأَنَا أَجْزِي به».

قال ابن رجب رحمه الله: كثرت الأقوال في معنى «الصَّوْمُ لِـيْ»، ومن أحسن ما ذكر فيه وجهان:

الأول: أن الصيام هو مجرد ترك حظوظ النفس وشهواتها التي جبلت على الميل إليها لله عز وجل، ولا يوجد ذلك في عبادة أخرى غير الصيام. الوجه الثاني: أن الصيام سرٌ بين العبد وربه لا يطلع عليه غيره؛ لأنه مركَّبٌ من نية باطنة لا يطلع عليها إلا الله، وتَرْكٌ لتناول الشهوات التي يستخفي بتناولها في العادة. ولذلك قيل: لا تكتبه الحفظة، أي لا يطلع عليه الإنس، ولا الملائكة، ولا يعلمه غير علام الغيوب.

قال القرطبي: معنى «أَنَا أَجْزِي بِهِ» أي أن الأعمال قد كشفت مقادير ثوابها للناس، وإنها تضاعف من عشرة إلى سبعمائة إلى ما شاء الله إلا الصيام، فإن الله يثيب عليه بغير تقدير، أي جزاءً كثيرًا من غير تعيين لمقداره، وهذا كقوله تعالى: «إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ»، والصابرون: هم الصائمون في أكثر الأقوال؛ لأن الصائم يُصَبِّرُ نفسه عن الشهوات، ولما كان الصبر حبس النفس عن إجابة داعي الهوى وكان هذا حقيقةَ الصوم، فإنه حَبْسُ النفس عن إجابة داعي شهوة الطعام والشراب والجماع، فُسِّرَ الصبر في قوله تعالى: «وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ» أنه الصوم، وسمي رمضان شهر الصبر.

وعن بعض السلف: الصوم نصف الصبر، وذلك أن الصبر حبس النفس عن إجابة داعي الشهوة والغضب، فإن النفس تشتهي الشيء لحصول اللذة بإدراكه، وتغضب لنفرتها من المؤلم لها، والصوم صبر عن مقتضى الشهوة فقط، وهي شهوة البطن والفرج دون مقتضى الغضب، ولكن من تمام الصوم وكماله صبر النفس عن إجابة داعي الأمرين، وفي الحديث «الصيامُ جُنَّة، فإذا كانَ أحدُكُم صَائِمًا فلا يَرْفُثْ ولا يَجْهلَ، فَإِن امْرُؤ قَاتَلَهُ أو شَاتَمَهُ، فليقل: إِنِّي صائِمٌ»، فأرشد صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الصائم إلى تعديل قوى الشهوة والغضب، وبين أن الصائم ينبغي له أن يحتمي من إفسادهما لصومه، فهذه تفسد صومه، وهذه تحبط أجره .

ويقول ابن القيم: «للصوم تأثيرٌ عجيب في حفظ الجوارح الظاهرة، والقوى الباطنة، وحميتها عن التخليط الجالب لها المواد الفاسدة التي إذا استولت عليها أفسدتها، واستفراغ المواد الرديئة المانعة لها من صحتها، فالصومُ يحفظ على القلب والجوارح صحتها، ويُعيد إليها ما استلبته منها أيدي الشهوات، فهو من أكبر العونِ على التقوى كما ورد في القرآن.

نسأل الله تعالى أن يوفق الأمة الإسلامية لصيام شهر رمضان وقيامه، ويزيل عن العالم كل بلاء ووباء بفضله وكرمه، ويجعلنا من المقبولين جميعا.

المحتويات

الرابطة تدعم دولاً إسلامية وغير إسلامية لمواجهة كورونا 5

الرابطة تدشن برنامجا لتوزيع السلال الغذائية والتمور في باكستان 12

المقارئ الإليكترونية.. التقنية في خدمة كتاب الله 28

بسم الله الرحمن الرحيم

الرابطة

شهرية - علمية - ثقافية

الأمين العام

أ.د. محمد بن عبد الكريم العيسى

المدير العام للاتصال والإعلام

أ. عبدالوهاب بن محمد الشهري

رئيس التحرير

د. عثمان أبوزيد عثمان

مدير التحرير

ياسر الغامدي

المراسلات:

مجلة الرابطة ص.ب ٥٣٧ مكة المكرمة

هاتف: ٠٠٩٦٦١٢٥٣٠٩٣٨٧

فاكس: ٠٠٩٦٦١٢٥٣٠٩٤٨٩

المراسلات على عنوان المجلة باسم رئيس التحرير

البريد الإلكتروني:

rabitamag@gmail.com

الموضوعات والمقالات التي تصل إلى مجلة «الرابطة» لا ترد إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر

للاطلاع على النسخة الإلكترونية للمجلة الرجاء زيارة موقع الرابطة على الإنترنت: www.themwl.org

طبعت بمطابع تعليم الطباعة

رقم الإيداع: ١٤٢٥/٣٤٣ - ردمد: ١٦٥٨-١٦٩٥

العدد: ٦٤٤
رمضان ١٤٤١ هـ - مايو ٢٠٢٠ م

غلاف العدد

مواجهة الأوبئة في شريعتنا الغراء

مكة المكرمة: الرابطة

أكدت رابطة العالم الإسلامي على أهمية التزام مجموعة من التدابير الاحترازية، والتي وردت في شريعتنا الغراء، والمتبعة لمقاومة جائحة فيروس «كورونا المستجد».

ونشرت الرابطة –عبر منصاتها الإعلامية المختلفة– جملة التدابير الشرعية الواجب اتخاذها ضد جائحة «كورونا»، مؤكدة في هذا وجوب حفظ النفس، مصداقًا لقوله تعالى: «ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة».

وأكدت وجوب الاحتراز في حال انتشار الوباء كقوله صلى الله عليه وسلم: «لا يورد ممرض على مصح»، وقوله: «إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا منها».

ولفتت إلى أنه «يسوغ شرعًا إيقاف صلاة الجمعة والجماعة لجميع الفروض في المساجد والاكتفاء برفع الأذان»، مشددة على وجوب التقيد التام بما تصدره الجهات المختصة من الإجراءات الوقائية والاحترازية والتعاون معها في ذلك، امتثالًا لقوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم».

ودعت إلى تقوى الله عز وجل والإلحاح في الدعاء وكثرة الاستغفار؛ لقوله تعالى: «ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارًا ويزدكم قوة إلى قوتكم».

رمضان في تشبه القارة الهندية
37

الارتقاء شوقًا إلى سيدة المدائن
41

معالي الأمين العام للرابطة الشيخ د. محمد العيسى:

«يوم الصحة العالمي يُذكّرنا بقيمة الصحة في حياتنا .. مستصحبين دوماً جهود العاملين في القطاعات الصحية»

ضمن خطة عاجلة

الرابطة تدعم دولاً إسلامية وغير إسلامية لمواجهة كورونا

مكة المكرمة:

أطلقت رابطة العالم الإسلامي مبادراتها للتخفيف من جائحة كورونا، وفق خطة استجابة عاجلة تتماشى مع مبادرات دولة المقر، المملكة العربية السعودية، التي أعلنها خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز، وتدابير الأمم المتحدة ومنظمة الصحة العالمية وجهود المجتمع الدولي لمواجهة هذه الجائحة.

وأكد المدير العام للإعلام والاتصال، المتحدث الرسمي للرابطة، عبدالوهاب الشهري، أن رابطة العالم الإسلامي، ومن مقرها الرئيس بمكة المكرمة في بلد الخير «المملكة العربية السعودية»، بدأت تنفيذ خطة شاملة للتخفيف من آثار جائحة «كورونا المستجد» على الدول المتضررة في قارات آسيا وإفريقيا وأوروبا، بناء على توجيهات ومتابعة معالي الأمين العام للرابطة الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى.

وقال الشـــهري: «إن المبادرات تشمل في مرحلتها الأولى ١٦ دولة إســـلامية وغير إســـلامية، وفق نهج الرابطة المهتـــدي بقيم ديننا الإســـلامي الرفيعة، الداعية للبر والإحســـان للجميع، وحرصت الرابطة على أن يكون تنفيذها ضمن ثلاثة مسارات متوازية، تشـــمل المســـاعدات المالية المباشرة، والتجهيزات الطبية للمراكز والمستشفيات، والمستلزمات الصحية والوقائيـــة والتوعوية، والمعونـــات الغذائية للفئات الضعيفة التي أثرت تدابـــير مواجهة الجائحة على سبل تحصيلها لقمة العيش».

وأوضح أن المسار الأول لمبادرات الرابطة متعلق بالدعـــم المالي المباشر، ويتضمـــن تقديم دعم نقدي لمنظمة الصحـــة العالمية ومنظمـــات دولية أخرى، بهدف تعزيز جهودها في التخفيف من آثار الجائحة، إضافة إلى دعم مالي للحكومـــات ووزارات الصحة والحماية المدنية في عدد من الدول، وذلك عبر مكاتب الرابطة حول العالم وضمن شراكاتها الاستراتيجية مع الحكومـــات والمنظمات الدوليـــة، من أجل أن

- **تسيير قوافل محملة بالسلال الغذائية للأسر الفقيرة والمحرومة وأبناء القرى النائية والأيتام**
- **تأمين أسرة عناية مركزة ومعدات مراقبة وأسطوانات أكسجين للمستشفيات**

رابطة العالم الإسلامي تواصل في باكستان تأمين الأجهزة الطبية والوقائية والحملات التوعوية لمواجهة جائحة كورونا

تتولى تلك الدول والمنظمـــات التي تلقت الدعم شراء التجهيزات الطبية والمســـتلزمات الصحية والوقائية لمكافحة الوباء.

وأضاف المتحدث الرسمي للرابطة: «فيما يشمل المسار الثاني تجهيز مستشفيات حكومية مخصصة لاســـتقبال المصابين بفيروس كورونا بأسرة طبية

رابطة العالم الإسلامي تقدم الدفعة الأولى لحكومةإندونيسيا، لشراء أجهزة طبية ووقائية، للتخفيف من جائحة كورونا

الرابطة تقدم دعمها المادي والإغاثي للبوسنة والهرسك في مواجهة كورونا

خاصة بالعنايـــة المركزة، وتأمين أجهـــزة مراقبة وقياس المؤشرات الحيوية وأجهزة التنفس الصناعي وأسطوانات الأكسجين مع ملحقاتها الطبية، إضافة إلى توزيع الحقائب الطبية المتكاملة التي تحتوي على الكمامات والمعقمات وتوزيع النشرات الإرشـــادية، فضلاً عن تعقيم المباني والمؤسسات الحكومية.

أما المســـار الثالث للمبادرات فيستهدف مساندة الحكومات على التقيد بالإجـــراءات التي أوصت بها منظمة الصحة العالمية لمقاومة انتشـــار الجائحة، مثل إغلاق المـــدن أو الحجر المنزلي، من خلال تأمين الغذاء للمجتمعـــات الفقيرة والمحرومة وأبناء القرى النائية والأيتام وكبار الســـن والمرضى الذين لم يعد باستطاعتهم مغادرة منازلهم في ظل انتشار الوباء، حيث يجري تسيير قوافل شـــاحنات يومية تحوي سلالا غذائية تغطي احتياج الأسر في تلك المناطق.

ولفت المتحدث الرســـمي لرابطة العالم الإسلامي إلى أن الرابطة حرصت أيضاً على تصميم وإنتاج عدد من النشرات والأفـــلام التوعوية والتثقيفية وتوظيف منصات الاتصـــال الخاصة بهـــا للتعريف بالوباء وطرق الوقاية منه وأهمية الحجر والتباعد الاجتماعي والعناية بالنظافة الشخصية.

يشـــار إلى أن الدول المستهدفة بالمرحلة الأولى من مبادرات الرابطة شـــملت ١٦ دولة، وهي: باكستان وكشـــمير وجنوب إفريقيا وملاوي والسنغال وتشاد ومـــصر وجيبوتي والســـودان والصومال ونيجيريا وأفغانستان والبوسنة والهرسك وكرواتيا وإسبانيا وإيطاليا وصربيا.

رابطة العالم الإسلامي تُسَلِّم دعمها لحكومة إيطاليا في مواجهة كورونا

رابطة العالم الإسلامي
تسارع للتخفيف من جائحة
كورونا (كوفيد 19) في البلدان
الأكثر تضرّراً واحتياجاً
أنواع الدعم
بالتواصل المباشر مع الحكومات والمنظمات الدولية
مالي
عيني
(يشتمل على مواد
وقائية وطبية)
توعوي
الدول
السودان
إندونيسيا
باكستان
أفغانستان
السنغال
البوسنة والهرسك
نيجيريا
جيبوتي
الصومال
كرواتيا
جنوب إفريقيا
إيطاليا
إسبانيا
mwlorg | www.themwl.org

رابطة العالم الإسلامي
خطة الاستجابة العاجلة لجائحة كورونا
12 دولة ومنظمة عالمية
تستهدف المرحلة الأولى دعم منظمات عالمية والدول الأكثر تضرراً
دعم نقدي مباشر لحكومات ومنظمات دولية
دعم منشآت صحية
تجهيز أسرة عناية مركزة، وتأمين أجهزة مراقبة وأوكسجين وتنفس صناعي
مساعدات عينية
مستلزمات صحية ووقائية
حملات تنظيف وتعقيم للمرافق
سلال غذائية عاجلة للشرائح الأكثر ضعفاً
برامج توعية وتثقيف بلغات عدة

أبرز ما جاء في حوار
معالي الأمين العام الشيخ الدكتور

محمد بن عبدالكريم العيسى

مع مجلة

AL-MONITOR

"الرابطة قدمت مساعدات كبيرة ومتنوعة لمواجهة جائحة كوفيد 19 شملت حكومات إسلامية وغير إسلامية"

"مؤلم أن نرى معاناة البعض من تلك الجائحة بسبب تقاعس دولهم، أو ارتهانها لخرافاتٍ تُنسب للدين."

"الحواجز السلبية بين أتباع الأديان ستبقى مالم تتجاوز حواراتُها طابعها التقليدي المعتاد إلى الحوار الفعال والجاد."

"نتعاون مع المؤسسات الإسلامية المعتدلة لتُسهم معنا في تعزيز الوعي بحقيقة ديننا."

"عالمنا أحوج ما يكون إلى الأفعال لتترجم حقيقة الأقوال."

"الرابطة تركز في حواراتها وتعاونها مع أتباع الأديان على بناء شراكة فعالة ذات أثر ملموس."

"للقيادات الدينية دور مهم في دعم جهود الحل العادل والشامل للقضية الفلسطينية."

"الإسهام الديني الإيجابي والفاعل (من قبل كافة التنوع الديني) غائب في دعم جهود السلام لحل القضية الفلسطينية."

"مستمرون في عقد المزيد من الشراكات المتنوعة والفعالة تتجاوز الأقوال إلى الأفعال التي يلمسها الجميع."

الرابطة تدشن برنامجا لتوزيع السلال الغذائية والتمور في باكستان

دشنت رابطة العالم الإسلامي برنامج توزيع السلال الغذائية و التمور في جمهورية باكستان الإسلامية.

وجرى التدشـــين خلال حفل أقيـــم بمقر المكتب الإقليمي للرابطة في العاصمة إسلام آباد بحضور سفير خادم الحرمين الشريفين لدى باكستان الأستاذ نواف بن ســـعيد المالكي، ومعالي وزيـــر التنمية الاجتماعية والتعليم في حكومة إقليم البنجاب الباكســـتاني راجه راشـــد حفيظ، ورئيس منظمة باكســـتان الخضراء الدكتور جمال ناصر.

وأوضح المدير الإقليمي لرابطة العالم الإســـلامي في باكستان الأســـتاذ سعد بن مسعود الحارثي أن هذا البرنامج في مرحلته الأولى يتمثل في (٦٧٥٣) سلة غذائية بالإضافة إلى (٥٤) طناً من التمور سيتم توزيعها على الشريحة المستهدفة من المحتاجين في أنحاء مختلفة من هذا البلد الشـــقيق، ويأتي ذلك بتوجيه ومتابعة حثيثة من الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي واستشعارها بمسؤولياتها تجاه خدمة الجميع ولا سيما مع انتشار جائحة فيروس كورونا، وهو جزء من المشاريع العديدة التي تنفذهـــا رابطة العالم الإســـلامي في جمهورية باكستان الإسلامية.

من جانبه سلط الســـفير نواف المالكي الضوء على جهود رابطة العالم الإسلامية في هذا الشأن، وما تقوم به من قبل ومن بعد حكومة وشـــعب المملكة العربية السعودية في تقديم يد العون والوقوف دائماً إلى الأشقاء في جمهورية باكستان الإسلامية .

كما قدم التهاني والتبريكات للأشقاء الباكستانيين بقرب قدوم شهر رمضان المبارك داعياً المولى عز وجل أن يعيننا على صيامه وقيامة وأن يعجل برفع جائحة

كورونا عن الجميع.

وقد ثمن معالي الوزير راجه راشد حفيظ من جانبه هذه المبادرة، مقدماً الشـــكر والتقدير لخادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود وسمو ولي العهد الأمين صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سلمان حفظهما الله تعالى ولرابطة العالم الإسلامي من مقرها الرئيس بمكة المكرمة بالمملكة العربية السعودية على المواقف الصادقة والأخوية الدائمة وغير المستغربة مع باكستان، معتبراً أن رابطة العالم الإسلامي حسنة من الحسنات المباركة للمملكة العربية السعودية، حيث اقترحت في حينه إنشـــاءها وأهدتها للعالم الإســـلامي وحضنت مقرهـــا الرئيس من الأرض المقدســـة مكة المكرمة بالمملكة العربية السعودية، حيث قبلة المسلمين ومهوى أفئدتهم فجزى اللـــه قادة هذه البلاد المباركة خير الجزاء.

المفطرات للصيام
وتكييفها الفقهي والطبي

بقلم: د. محمد تاج العروسي

الصوم ركن من أركان الإسلام، وهو عبارة عن الإمساك عن سائر المفطرات في الوقت المحدد له شرعا، وهذه المفطرات منها ما هو متفق عليها، ومنها ما تنازع الفقهاء في اعتبارها مُفْسِدَةً للصيام بناءً على مناط التفطير، هل هـــو التغذي أو التقوي أو مجرد الدخول إلى الجوف؟ مع اختلافهـــم في ضابط الجوف المعتبر، إضافة إلى ما استجد أي ما يعرف بـ «المفطرات الطبية المعاصرة»؛ مما يقتضي ضرورة الاجتهاد فيها لبيان الحكم الشرعي. يقول الإمام السرخسي رحمه الله: «ما من حادثة إلا وفيها حكم الله من تحليل أو تحريم، أو إيجاب أو إسقاط، ومعلـــوم أن كل حادثة لا يوجد فيها نصٌّ، فالنصوص معدودة متناهية، ولا نهاية لما يقع من الحوادث إلى قيام الساعة». السرخسي ٢/١٣٩.

والإفتاء فيها يتطلب نظرا فقهيا دقيقا يجمع بين سلامةِ التصور، وامتلاكِ آلة النظرِ الفقهي أي «شروط الاجتهاد»، بحيث يكون لدى المجتهد من العلم الشرعي ما يمكنه من الاجتهاد في النازلة.

فالفتوى عبارة عن بيـــان الحكم الشرعي في الواقعة، أو النازلة، فـــكان لا بد للمفتي من التصور الصحيح لتلك الواقعة، أو النازلة حتى يُبـــين الحكمَ الشرعي على الوجه الصحيح، فمعرفـــةُ النازلة نصفُ الاجتهـــاد، ويتم ذلك بتكييف المســـألة فِقْهِيًّا، ثم تخريجها تطبيقِيًّا وعملِيا، مع مراعاة الضوابط المتعلقة بالمفطرات.

والتكييف الفقهي: تصنيف المســـألة تحت ما يناسبها من النظـــر الفقهي، أو رد المســـألة إلى أصل من الأصول الشرعية، بدلالة العموم، أو المفهوم، أو الإيماء، أو القياس.

والتخريج: نقل حكم مســـألة إلى ما يشبهُها والتسوية بينهما فيه، فالتكييف هو الخطوة الأولى والمرحلة الأساسية

التي يُبنى عليها التخريج الموافق للدليل.

أمـــا ضوابط المفطرات: فهي كل مـــا دخل عن طريق الحلق من أكل أو شرب أو غيرهما، ســـواء تغذى به البدن أم لم يتغذ، وكل ما دخل من منفذ آخر وتغذى به البدن.

ولعـــل إدخال الداخِل من غير منفـــذ الحلق في ضابط المفطرات؛ لما يحصل به من الإشباع وامتلاء البطن، فالحكم الشرعي في منع الأكل والشرب لمـــا فيهما من الغذاء، فإذا وجد الغذاء بغـــير هذه الطريقة فقد تحقق المقصود بهما، ولا أثرَ لاختلاف طريقـــةِ حصول الغذاء؛ لأن الحكم مبني على المعانـــي، وهذا المعنى متقرر عنـــد الأصوليين، يقول الإمام الجويني رحمه الله: «مـــا علم التحاقه بالمنصوص عليه، فلا حاجة فيه إلى اســـتنباط معنى من مورد النص، وبيان وجود ذلك المعنى في المسكوت عنه؛ بل العقل يسبق إلى القضاء بالإلحاق ويقدره بالمنصوص عليه». البرهان في أصول الفقه ٢/٥١٦.

ويقول ابـــن قدامة رحمه الله: «أجمـــع العلماء على الفطر بـــالأكل والشرب لما يتغذى به، فأما ما لا يتغذى به فعامة أهل العلم عـــلى أن الفطر يحصل به». المغني لابن قدامة ٣/ ١٤.

ويقول الدسوقي: «الحصاة تشغل المعدة اشتغالا مَّا، وتنقص كَلَبَ الجوع» أي شدته ووطأته.

حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ١/ ٥٢٤.

أنواع المفطرات

قســـم العلماء المفطرات إلى المتفـــق عليها: وهي الأكل والشرب والجماع والقيء. والمختلـــف فيها: وهي كثيرة، أوصلها بعضهم إلى ســـتين نوعا، ويعود الخلاف فيها إلى الأمور التالية:

الاختلاف في صحة الحديث وعدمه، والاختلاف في دلالته، والاختلاف في القياس على المنصوص عليه، وتحرير المعنى الذي أناط به الشارع فساد الصوم، والاختلاف في حقيقة الصوم، هل هو الإمســـاك المطلق عن كل ما يدخل الجسم، أو المقيد بالأكل والشرب؟ وهل يقيد ذلك بما دخل من منفذ معتاد، أو هو مطلق الدخول مـــن أَيِّ منفذ؟، والاختلاف كذلك في مفهوم الجوف ومسالك النفاذ إليه.

فترتب عـــلى اختلافهم في ذلـــك تَوَسُّـــعُ بعضهم في المفطرات؛ بحيث جعل الصوم يفســـد بدخول كلِّ عين من الظاهر إلى باطن الجســـم من منفذ مفتوح أصيلٍ، أو غيرِ أصيل، وتَضييقُ البعض الآخر بالمفطرات، فقصروها على ما جاء به النص، أو اســـتوعَبَه منطوق النص، أو دَلَّ عليه القياس الجلي.

فالتوســـع هو مذهب جمهور الفقهـــاء من أصحاب المذاهـــب الأربعة على خـــلاف بينهم في بعـــض الصور، فأدخلوا في المفطرات ما دخل عـــن طريق الأنف، والعين، والأذن، والدماغ، والإحليل، والجهاز التناسلي. واعتمدوا في ذلك قاعدة «الفطرُ ممَّا دخلَ وليس مما خرج» مســـتدلين بحديث: «إنما الإفطار ممـــا دخل» رواه أبو يعلى الموصلي في مســـنده، والحديث ضعيف، وبأثرِ ابـــنِ عباس: «إنما الفطر مما دخل وليس مما خرج» رواه البيهقي في السنن، والبخاري أخرجه مُعلِّقاً بلفظ «الصَّومُ مما دخل وليس مما خرج» وصححه الألباني.

فمناط فســـاد الصوم عندهم أن يصل إلى الجوف على خلاف بينهـــم في تعريف الجـــوف، أو أن يدخل إليه من المنافذ المعتبرة، وتوســـعوا في مفهوم المنافذ، وأدخلوا فيها كل مجوف كالفرج والدبر، والدماغ، والإحليل، واعتبروا كل فتحة نافـــذةً إليه، كالفم، والأنف، والأذن، والعين، ولا فرق عندهم في العين الداخلة بـــين المغذِّي وغيره، ولا بين المائع والجامد، واعتبروا الدماغ جوفاً مؤثرًا في الإفطار باعتبار أن بينه وبين المعدة منفذًا يلج منه ما يصل الدماغَ إلى البطنِ، كما اعتبروا الإحليـــلَ جوفاً متَّصـــلًا بالجهاز الهضمي، والـمَهْبِلَ والرَّحِمَ جوفان لهما صلة بالجهاز الهضمي.

أما التشريح الطبـــي المعاصر فقد أثبت أن بعض هذه المنافـــذ لا تتصل بالجـــوف مثل الدمـــاغ والأذن والعين، والإحليل، وبالتالي لا يُفطِّـــرُ كل ما دخل عن هذه الطرق، كما أن الجوف الذي يؤثر في الصيام ويحصل فساد الصوم

بوصولِ الطعام والدواء إليه هو: الجهازُ الهضمي، إذ هو موضع الطعام والشراب، وكُلُّ ما يدخل إليه متجاوزا الفم، والبلعوم يكون سببا للإفطار ومفسدًا للصيام.

وبيَّن التشريح الطبي أيضا عدم وجود منفذ بين الجهاز البولي، والجهاز الهضمي، فما يدخل إلى الجهاز البولي من دواء، أو قسطرة عن طرق الإحليل يَصِلُ إلى المثانة فقط، وأن المهبل والرحم لا يتصلان بالجهاز البولي، كما أكد الطب عدم وجود منفذ بين الدماغ والجهاز الهضمي، وبينه وبين المثانة والإحليل.

مجلة المجمع الفقهي ١٠/ ٢١٦، ٣٣٨.

أما المضيقون من الفقهاء: فيرون أن الصوم لا يفسد إلا بالأكل والشرب، أو بما كان في معناهما، فقصروا المفطرات على ما جاء به النص، أو استوعبه منطوق النص، أو دل عليه القياس الجلي ومنهم ابن تيمية، والظاهرية، وبعض العلماء من المتأخرين، أمثال الشيخ محمد شلتوت، وابن عثيمين.

يقول ابن تيمية رحمه الله مؤيدًا لهذا الرأي: «أما الكحل والحقنة وما يقطر في إحليله، فهذا مما تنازع فيه أهل العلم...، والأظهر أنه لا يفطر بشيء من ذلك، فإن الصيام من دين المسلمين الذى يحتاج إلى معرفته الخاص والعام، فلو كانت هذه الأمور مما حرمها الله ورسوله في الصيام ويَفْسُدُ الصوم بها، لكان هذا مما يجب على الرسول صلى الله عليه وسلم بيانه، ولو ذكرَ ذلك لعَلِمهُ الصحابة وبلَّغوه الأمة، كما بلَّغوا سائر شرعه، فلَمَّا لـَمْ يَنقُل أحدٌ من أهل العلم عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك لاَ حَديثًا صحيحًا، ولا ضعيفًا، ولا مسنداً، ولا مرسلاً، عُلِمَ أنه لم يَذكر شيئا من ذلك». مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٥/ ٢٣٣.

وهذا ما اختاره أعضاء المجمع الفقه الإسلامي في توصيات الندوة الفقهية الطبية التابعة لمجمع الفقه الإسلامي، وفيها ما يلي: «المفطرات في كتاب الله عز وجل والسنة الصحيحة ثلاثة: هي الأكل والشرب والجماع، فكل ما جاوز الحلق، وكان ينطبق عليه اسم الأكل، أو الشرب، كمًّا وكيفًا يعد مفطرا».

مجلة المجمع الفقهي العدد العاشر ٢/ ٤٦٤.

أما المفطرات المستجدة فكثيرة، اختلف الفقهاء المعاصرون فيها، ونوقشت في المجمع الفقهي وتم الأخذ فيها برأي أغلبية المشاركين في الندوة في بعض المسائل، وباتفاقهم جميعا في بعضها، وهي كالتالي:

أولا: ما يدخل الجسم عبر منافذ الوجه

مثل بخار الرَّبو، وغاز الأكسجين، وغاز التخدير، ومعجون الأسنان، ومطهرات الفم، وقطرات الأنف، والأذن، والعين، والأقراص العلاجية التي توضع تحت اللسان.

١. بخاخ الربو: غير مفطر للصوم على الرأي الراجح، قياسا للواصل منه إلى الجوف على المتبقَّي من المضمضة والاستنشاق، فما يصل منه إلى المعدة قليل جدا. مجلة المجمع الفقهي العدد ١٠/ مجلد ١٩/ ٢١٠.

٢. غاز الأكسجين: لا يفطر الصوم، فحكمه حكم استنشاق الهواء، إذا كان مجردًا لم يختلط به الماء، وكذا غاز التخدير فهو مماثل لصورة غاز الأكسجين، وهذا ما قرره المجمع الفقه الإسلامي. مجلة المجمع ٢/ ٤٥٤.

٣. معجون الأسنان ومطهرات الفم: يجوز للصائم استخدام جميعها شريطة عدم وصولها إلى الحلق قياسا على السواك، وهو اختيار أغلب الفقهاء المعاصرين، واللجنة الدائمة للإفتاء في السعودية.

٤. منظار المعدة: رأي الجمهور أنه مفطِّرٌ إذا كان مصحوبا بمادة دهنية؛ لأنه لا يمكن استخدامه غالبا بدون المادة المزلجة والمسهلة، كما بين ذلك الأطباء، فيدخل في عموم الأكل والشرب، لفظا، أو معنى.

٥ .القطرات: تُفطِّر قطرات الأنف إذا وصلت إلى الحلق قياسا على السعوط المتفق عليه عند الفقهاء، أما قطرات العين: فالراجح أنها لا تفطر؛ لأن ما يصل منها إلى المعدة شيء لا يكاد يرى بالعين المجردة. أما قطرات الأذن: فلا تفطر الصوم على الراجح؛ لأنه تقرر بالطب الحديث بأنه لا صلة بين الأذن والدماغ، ولا بين الأذن والجهاز الهضمي إلا في حالة تخرُّم الطبلة، وهذا مخالف لما عليه الفقهاء؛ حيث يعتقدون أن الأذن منفذ إلى الجوف أو الدماغ، فبنوا الحكمَ

على ذلك، فانتفى ذلك السبب الذي بنوا عليه الحكم؛ لأنه يدور مع السبب وجوداً وعدمًا. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ٢/ ٩٣، روضة الطالبين وعمدة المفتين ٢/ ٢٢٣.

٦. الأقراص التي توضع تحت اللسان: لا تفطر الصوم إذا لفَظَ المريض بقايا الحبة ولم يبلعها مع الريق.

ثانيا: ما يدخل الجسم عبر الجلد

مثل الحقن العضلية، والجلدية، والوريدية، وحقن الدم، والقسطرة، واللصقات العلاجية.

لا يفطر الصائم بأخذ الحقن العضلية والجلدية؛ لأنها عبارة عن دواء يُضخ إلى الجسم عن طريق العضل، كما أنهما لا يصلان إلى المعدة، ولا يقومان مقام الأكل والشرب، أما الحقن الوريدية: فهي نوعان، مغذية وعلاجية: فالمغذية تفطر؛ لأنها عبارة عن سكريات ومعادن، وسوائل، والعلاجية: لا تفطر على الراجح؛ لأنها عقاقير علاجية لا يستغني بها البدن عن الطعام والشراب، وهو ما قرره المجمع الفقهي في دورته العاشرة حول المفطرات، وعليه فتوى اللجنة العلمية الدائمة. مجلة المجمع الفقهي ٢/ ٣٧٧، فتاوى اللجنة الدائمة ١٠/ ٢٥٢.

أما حقن الدم للمريض: فالراجح أنه لا يفطر؛ لأن الدم وإن كان عماد الحياة إلا أنه ليس بغذاءٍ، ولا يستغني به البدن عنه، كما تقرر في الندوة الفقهية الطبية التاسعة التابعة للمنظمة الإسلامية للعلوم الطبية بالكويت، وشارك فيه مجمع الفقه الإسلامي، وبه أفتت دار الإفتاء المصرية.

الغسيل الكلوي: الرأي الراجح أنه يفطر الصوم؛ لأنه يتم فيه إدخال كمية كبيرة من السوائل «الماء والأملاح والمعادن والسكر»، بحيث تتفاعل مع الدم لمدة طويلة، كما أنه يزود الجسم بالدم النقي، وبمادة غذائية أخرى.

القسطرة القلبية: لا يفطر الصائم باستخدامها؛ لأنها مادة صلبة تدخل إلى الجسم عن طريق الجلد، فلا يصدق عليها أنها طعام أو شراب، وليست في معناهما. مجلة المجمع الفقه الإسلامي العدد العاشر ٢/ ٤٥٥.

ثالثا: ما يدخل الجسم عبر الجهاز التناسلي والشرج

المنظار المهبلي: الراجح أن ما يدخل إلى المهبل والرحم من أجهزة فحص وتنظير، أو أدوية ومراهم للعلاج والتنظيف لا يفسد الصوم؛ لعدم وجود أي صلة بين المهبل والرحم وبين الجهاز الهضمي، ولأن من ضابط المفطرات أن يكون أكلا أو شربا أو ما في معناهما صورةً أو حكمًا، وهذا ليس كذلك، وهو ما قرره المجمع الفقهي في دورته حول المفطرات، وبه أفتت اللجنة الدائمة للإفتاء في السعودية.

مجلة مجمع الفقه الإسلامي العدد العاشر ٢/ ٤٥٤، فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ١٠/ ١٧٤.

الجهاز البولي: ويتكون من الكليتين، والحالبين، والمثانة، والإحليل، ويقوم بصناعة وتخزين وإخراج البول، والرأي الراجح أن الصائم لا يَفطُرُ بما يدخله سواء دخل إلى الإحليل أو المثانة لغرض التشخيص أو العلاج بالأجهزة أو الأدوية، أو غسول المثانة؛ لعدم وصول ذلك إلى الجهاز الهضمي مطلقا، خلاف ما كان يعتقده الفقهاء قديما من وجود منفذ بين الجهاز البولي والجهاز الهضمي، كما أن الجسم لا يتغذى بما يدخل عبر الجهاز البولي. وهذا ما قرره المجمع الفقهي الإسلامي بالإجماع. مجلة المجمع ٢/ ٤٥٤، ٤٦٤.

الشرج: الرأي الراجح أن ما يدخل عن طريق الشرج من حقنة، وتحاميل ومراحم، ومنظار لا يفطر بها الصائم؛ لأنها مواد علاجية، وليست سوائل غذائية، ما عدا الحقنة الشرجية المغذية فإنها تفطر؛ لأنها بمعنى الأكل والشرب وتمد الجسم بالطاقة الحيوية اللازمة.

وهناك مسائل تتعلق بالنوازل الطبية الفقهية المعاصرة لم أتطرق لها؛ مخافة الإطالة، ولأن القاعدة التي ذكرتها في ضابط المفطرات تنطبق على الجميع، فمن أراد مزيدا من التوضيح فليراجع الكتب والرسائل العلمية التي ألفت في هذا المجال وتحدثت عنه بشيء من التفصيل، إضافة إلى قرارات المجامع الفقهية الإسلامية.

نحو أرضية مشتركة
لثقافة الحوار الديني
في عصر العولمة

للدكتور حسن عزوزي
رئيس مركز الدراسات في مجال تصحيح صورة الإسلام بفاس

لا شك أن المبادرات المنتظمة التي تعقدها المنظمات والهيئات الإسلامية هنا وهناك مع قادة وممثلي الديانة المسيحية بالغرب تأتي في انسجام تام مع الدعوات الملحة من أجل إيجاد مرجعية أخلاقية مشتركة بين الأديان السماوية بهدف تعزيز الأمن والسلام في العالم.

وإذا كان الوقـــوف على أرضية مشـــتركة بين الجانبين الإســـلامي والمســـيحي من أجل تلمس الهموم المشـــتركة مما يصطبـــغ بالصبغة الدينية والإنســـانية هو الهدف الرئيس من هذه اللقاءات، فإن محاولة بحث آثار وتداعيات ظاهرة العولمة على الخصوصيات الدينية والثقافية في الإسلام والمسيحية تبدو أمرًا ملحًا تفرضه من جهة ضرورة متابعة ما يحدث ويجد من تيارات وتحديات وظواهر فكرية وثقافية واقتصادية لها أثرهـــا على الحقل الديني كما يفرضه من جهة أخرى الســـعي نحو توحيد الجهود بين الطرفين الإسلامي والمسيحي للنظر في مدى تأثر الخصوصيات الدينية والهويات الثقافية بانعكاســـات العولمة خاصة على مستوى البعدين الديني والثقافي.

❖ إن القيم الروحية النابعة من مصدر ديني هي وحدها الكفيلة بتوجيه أنماط السلوك الحضاري

في الحاجة إلى ثقافة الحوار الديني

إذا كانت ثقافة الحوار بين الأديان والحضارات ناجمة عن تطورات ثقافية وإنسانية تدعو إليها، فإنها بالنسبة للمسلمين حاجة ملحة نظرًا لكونها السبيل إلى إيجاد أرضية مشتركة للتفاهم والتواصل ترمي إلى التخفيف من القلق العميق الذي ينتاب الشعور الإسلامي -على وجه الخصوص- اجتماعيا وسياسيا وفكريا سواءً داخل العالم الإسلامي أم خارجه على مستوى الأقليات المسلمة.

فالمتغيرات الراهنة التي يعرفها العالم تدعو إلى مواجهة التحديات الضخمة والمخاطر الاجتماعية والاقتصادية والثقافية المتعددة التي أمست في غاية الخطورة، مما يدفع إلى ضرورة مجابهتها مع من يشاركوننا نفس المواقف والرؤى والتطلعات الرامية إلى المحافظة على القيم والمبادئ التي يعتبرها كل من الإسلام والمسيحية مرجعية أخلاقية أساسية للتعامل بين أتباعها. ولا شك أنه تقع على عاتق المسلمين والمسيحيين اليوم ـ أكثر من أي وقت مضى - مسؤولية عظيمة تجاه المجتمع الإنساني، فقد أُثرت عن كل من الإسلام والمسيحية مآثر خدمت المجتمعات الإنسانية عن طريق التعليم والتكافل الاجتماعي، وزرع القيم الأخلاقية والمبادئ السامية من أجل سعادة البشرية وخيرها. وتعتبر اللقاءات الحوارية المباشرة التي نظمت بصورة مكثفة في السنوات الأخيرة - وننوه بهذا الصدد بالدور الفعال والإيجابي لرابطة العالم الإسلامي- أكبر دليل على الوعي المتجدد لدى الطرفين معًا بضرورة التلاقي من أجل نسج وتأسيس أرضية فكرية ناضجة تكون منطلقاً للتفاهم على جملة من الأمور والقضايا التي تؤرق الجانبين وتستدعي بقوة إيجاد حلول لها تكفل الحيلولة دون حدوث نزاعات وصدامات من جهة، كما ترمي من جهة أخرى إلى مواجهة التحديات التي تؤثر سلبًا على المنظومة الأخلاقية والقيمية التي تزخر بها الأديان السماوية.

وفي سبيل تحقيق ذلك ينبغي النظر مليًا في سبل بناء ثقافة للحوار جديدة تناسب متطلبات العصر وتراعي خطورة التحديات الحضارية وتستجيب أيضا للتطلعات. وإذا كان تيار العولمة الذي لا يُشعر بالتلقائية والعفوية كما تُشعِر بهما صيغة العالَمية المميزة للدين السماوي، يعتبر من أبرز التحديات التي تسهم في القضاء على الخصوصيات الدينية والثقافية وترمي إلى تقويض السيادات الوطنية في دول العالم الأقل تقدمًا، فمن المؤكد أن علاقة العولمة بالدين تمثل مجال صراع وتوتر، لأن العولمة قاطرة عملية الحداثة والتحديث، وبالتالي فهي تهدد في بعض جوانبها ما كان ثابتًا وأصيلا وأخلاقيا في الديانات السماوية. إن العولمة في حقيقتها لا تستهدف التخطيط والتآمر بوعي للقضاء على القيم الدينية والأخلاقية، ولكن عمليات وآليات العولمة تصطبغ بصبغة علمانية محضة، كما أنها تقصي الدين وتلغيه ثم تعمل على التأثير في قيمه وأخلاقياته عن طريق الآثار الجانبية التي لم تتدخل في بروزها العولمة بصورة مباشرة أو باعتبارها هدفا مخططا له. من جهة أخرى فإنه عندما يتم التوجس خيفة من اختراق العولمة للكيان الديني بكل مقوماته العقدية والأخلاقية، فإن الاختراق لا يعود بالدرجة الأولى إلى قوة العولمة الكاسحة بل يعود ذلك في كثير من الأحيان إلى ضعف وهوان في التمسك بالهوية المعبرة عن الانتماء وعدم القدرة على تجسيدها بقوة.

من هنا تأتي ضرورة التفكير في بناء ثقافة للحوار بين الجانبين الإسلامي والمسيحي في عصر تكتسح فيه رياح العولمة الجارفة كثيرًا من الخصوصيات الدينية والثقافية مدشنة بذلك مرحلة جديدة في تاريخ البشرية، لعل من أبرز خصائصها طغيـــان العوامل المادية والاقتصادية على القناعات الدينية والثقافية. ذلك أنه في رحاب العالم المفتوح انتشرت القيم المشـــتركة بين بني الإنسان دون أن تتوقف مســـيرتها عند حدود أو تعترض انتشارها سلطة، وهذه النزعة العالمية طبعت الشرائع التي جاءت لتربية الإنســـان ليقوم بإصلاح الأرض وعمارتها. وقد توجه القرآن الكريم بالخطاب إلى البشرية كلها بعبارة «يا أيها الناس» لأن دعوة الإسلام عالمية، تشخصت على وجه الخصوص فيما يعتبر النداء الأول للتعايش العالمي «قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شـــيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابـــا من دون الله» (آل عمران، ٦٣). وترســـخ ذلك عندما ألغى الإسلام ما تعارفت عليه مجتمعات الجاهلية التي كانـــت قائمة في العالم من إقامة حدود فاصلة بين أطرافه على أساس العنصرية والعصبية وفوارق القبيلة واللون والجنس. فقد خاطب الله تعالى البشرية العالمية بقوله: «يا أيهـــا الناس إنا خلقناكم مـــن ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم» (الحجـــرات، ١٣). وقد جاءت هذه الآية بثلاثة مبادئ: التسوية في العالمية بين الناس وحقهم الثابت في الاختلاف شـــعوبا وقبائل (وهي إشارة بالمثال إلى أنواع الاختلاف المشروع) والإبقـــاء على تمايز الخصوصيات داخلها.

إن الالتقاء في رحاب العالمية على كلمة سواء، وتجاوز الفـــوارق دون إلغاء الخصوصيات ومطالبة الإنســـان باكتشـــاف أغوار هذه الخصوصيات ليزداد تعرفه على أخيه الإنســـان. هذه الثلاثية التي لا تعارض بينها هي التي أقام عليها الإسلام دعوته ليحقق الاحترام المتبادل بين بني الإنســـان، وبدون هذا الاحـــترام لا يقوم بين

❖ ضرورة التفكير في بناء ثقافة للحوار بين الجانبين الإسلامي والمسيحي في عصر تكتسح فيه رياح العولمة

البشرية تفاهم أو تعاون.

والإســـلام من جهته لم يفرض هذه العالمية الملتحم شملها في مجتمع عالمي أساسه التقوى، لا بحد السيف ولا باستعمار استيطاني أو قهر تسلطي وإنما دعا إلى رسالته بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن دون إكراه في الدين أو رغبة في الهيمنة والتوسع.

مجالات تأثير العولمة

إذا كانت هنالك مجـــالات ثقافية واجتماعية عديدة يخشى انســـياب تأثير العولمة إليها، فإننا سنقتصر هنا على إيراد جملة منها:

أولا: الأسرة، وتعتبر أهم المؤسسات الاجتماعية التي تنتج الوجدان الثقافي والتربوي عـــن طريـــق مجموع القيم والأخلاق التي تنشرها وتوزعها على سائر أفرادها وتلقنهم إياها على اعتبار كونها تشـــكل الآداب العامة الواجب مراعاتهـــا والمبادئ الاجتماعيـــة التي ينبغي احترامها والالتزام بها. ولا يخفى مدى اهتمام الشرائع الدينية بمؤسســـة الأسرة قصد صيانتهـــا وإحاطتها بسياج من الآداب والأخلاق والقيم الدينية التي تشترك جميعها في الدعوة إليها وتفعيلها.

وإذا كانت عوامل الحداثة والعولمة وتأثيراتها سببًا في تفكك بنية الأسرة الذي جرى في امتداد تحولات اجتماعية وثقافيـــة عميقة وعاصفة، فإن فقدان هذه المؤسســـة الاجتماعيـــة المتزايد لقدرتها على الاســـتمرار مرجعية قيمية وأخلاقية للناشـــئة؛ يعتبر من الأمور التي تؤرق

رجال الدين والعلم والتربية الذين يقع على عاتقهم عبء المحافظة على القيم المكتسبة وصيانتها. مما يدعو إلى الالتفاف حول استراتيجية موحدة تهدف إلى التصدي إلى العوامل المؤثرة، وذلك عن طريق حوار بناء وفاعل.

إن مما لا شك فيه أن السلطة الأبوية داخل الأسرة المحافِظة قد أخذت تتراجع وتضمحل تدريجيًا لتفسح المجال لمصادر جديدة لإنتاج القيم الأسرية وتوزيعها، يأتي في مقدمتها الإعلام المرئي بكل مكوناته. الأمر الذي يهدد بزوال السلطة الأبوية واضمحلال الثقافة التقليدية وتراجع القيم الدينية والأخلاقية. والأدهى من ذلك كله أن التأثير السلبي الذي أصاب مؤسسة الأسرة سلطة ومرجعية وثقافة، يفتح الباب لعجز مريع في مجال المقاومة والتصدي لعوامل زحف العولمة الثقافية الكاسحة والزاحفة التي ترمي إلى تحطيم القيود الأسرية ذات المنزع الديني والأخلاقي من أجل توحيد العالم على مقتضى نظام قيمي جديد لا يعير المرجعية الدينية أي اعتبار أو اهتمام.

ثانيا: التربية، وتعتبر النظام الاجتماعي القائم على مبادئ وتعاليم دينية وأخلاقية واجتماعية نابعة من عقيدة وفلسفة الأمة في الحياة، والتربية الدينية لا تقتصر عادة على الجوانب الوجدانية والعاطفية في الإنسان وإنما تطال أيضا الجوانب الفكرية والسلوكية. إن هدفها هو الإنسان المتدين الصالح وليس الإنسان المتدين فقط، وهدفها أيضا المحافظة على الفطرة الإنسانية السليمة والعمل على تنميتها وتزكيتها باستمرار، ولذلك فإن الفرد المتدين لو رأى تعرض القيم التربوية للانحلال والتدهور فإنه يكون مكلفًا ومسؤولا عن حمايتها وصيانتها بالسبل الممكنة.

لكن اليوم وفي ظل سيادة نظام ثقافة العولمة أصبح المصدر الجديد الأقوى لإنتاج القيم التربوية وصناعتها وتشكيل الوعي التربوي، يأتي عن طريق الإعلام السمعي البصري حيث صار في وسع البث عبر الأقمار الصناعية أن ينقل المادة التربوية الجديدة إلى كل الأصقاع بيسر بالغ تضيع معه التقاليد التربوية القائمة على أساس من الدين والفطرة. «نعم ستغدق ثقافة العولمة على الجسد ما سيفيض عن حاجته من الإشباع تمامًا مثل جدتها العولمة الاقتصادية غير أنها ستقتل الروح وتذهب بالمحتوى الأخلاقي والإنساني لسلوك الناس. أليس مرعبًا أن يصبح التلفزيون المؤسسة التربوية والتعليمية ـ وظيفيا - مقام الأسرة والمدرسة؟

إن المجتمعات الأكثر علمانية تعرف موجة عارمة من «الانفلات» الأخلاقي والتربوي، حيث نجد ظاهرة التسيب العام لدى الأطفال والمراهقين وانتشار عوامل الإغواء والإغراء الجنسي مما أضعف الوازع الديني لدى الأفراد الذين يجدون أنفسهم فريسة لصراع داخلي

بين دافع الوفاء لقيم الأسرة الملتزمة والرغبة في الخضوع لعوامل إغواء وتحقيق الأهواء والرغبات. وهنا يكون الطفل أو المراهق في أشد الحاجة إلى قيم التحصين التي تؤدي الأسرة أكبر دور في تفعيلها وتنميتها، في مواجهة عولمة ثقافية وإعلامية موغلة في الإفساد والاستهتار بالقيم التربوية والأخلاقية.

رابعا: القيم المشتركة، لا شك أن الوعي بوجود قيم مشتركة بين الإسلام والمسيحية قابلة لأن تكون أرضية للعمل المشترك يشكل أبرز دافع لمواجهة آثار العولمة وانعكاساتها على القيم الدينية والمبادئ الأخلاقية. إن اختلال القيم والثوابت الأخلاقية واتساع الهوة بين شعوب غنية وأخرى فقيرة وانتشار العنف والجريمة وتعاطي الموبقات بغير رادع من ضمير أو أخلاق. كل ذلك يستوجب التصدي لكل المخاطر التي أضحت تحديًا مقلقا وخطرًا محدقا يتهدد كيان الأخلاق الدينية التي أجمعت عليها الديانات السماوية، وهذا ما يفرض التعبئة في إطار ثقافة الحوار لوضع استراتيجية تتضافر فيها جهود كل الفعاليات الدينية والثقافية والاجتماعية لتطويق انتشارها.

إن القيم الروحية النابعة من مصدر ديني هي وحدها الكفيلة بتوجيه أنماط السلوك الحضاري الهادفة إلى صيانة الحضارة الإنسانية من الانحلال. لذلك ينبغي التأكيد على عنصر «الدين» أو «العامل الروحي» أثناء الحديث عن منظومة القيم التي ينبغي الاستنجاد بها بهدف بناء ثقافة للحوار فعالة تكفل التصدي للتحديات الضاغطة وفي مقدمتها تحدي العولمة. ولا شك أن القيم الروحية هي التي تعصم المجتمعات الحضارية من الانزلاق وتصون المدنية من الضياع وتوجه بالتالي الضمير الإنساني المهذب توجيهًا قويما.

إن نظرة فاحصة ورؤية عميقة في مكونات الواقع الراهن (عصر العولمة)، تجعلنا ندرك بجلاء غياب القيم الدينية والأخلاقية في ظل انسياب واضح لقيم جديدة تفرضها العولمة في بعدها الثقافي، فالحوار بين الطرفين حول القيم المشتركة في الديانتين في قضايا الظلم والعدل والكرامة الإنسانية والحرية والعبودية، والسلام والاستكبار والاستضعاف في ساحة الصراع المحتدم في مختلف أرجاء العالم من شأنه أن يفتح الباب لتخطيط ديني مشترك واسع لمواجهة الاستكبار السياسي والاقتصادي والأمني والثقافي الذي يضغط بقوته الكبرى على إنسانية المستضعفين، وهذا ما يسهم في إغناء الأخلاق الكونية والإطار الأخلاقي لحياة الناس.

بيد أنه بدون التعرف على الآخر والاعتراف به وبدون احترام الآخر في اختلافه لن يكون لقيم كالسلام والعدل والكرامة الإنسانية ولا للتسامح والمحبة والتآخي أي معنى، فثقافة السلام ـ مثلا- التي أحوج ما يكون العالم إليها اليوم بعد المستجدات العالمية الأخيرة، تستوجب مبدئيًا الإقرار بمشروعية الاختلاف واعتباره أمرًا طبيعيا بين الناس ودليلا على التنوع الثقافي والحضاري. كما تستوجب الإقرار أيضا بالتعددية في المعتقدات الدينية والهويات الثقافية، ولا شك أن أول ما يترتب عن الإقرار بمشروعية الاختلاف والتعدد الثقافي الالتزام بالحوار سبيلا إلى التفاهم ومنهجا في التواصل والتعاون. ولكن ينبغي العمل - وعلى جميع المستويات - من أجل تجاوز بقاء الحوار في مستوى العلماء وكبار المثقفين لكي يسود وينتشر بين جميع فئات المجتمعات المراد تعايشها والتواصل فيما بينها. وكل ذلك كفيل برفع الحواجز النفسية التي تعوق تفعيله خاصة في ظل انتشار الأحكام المسبقة والتصورات الخاطئة والمفاهيم المغلوطة التي تقف في وجه إدراك الحقائق وملامسة الواقع الموضوعي للأمور والقضايا المختلفة.

إن المقاربة الدينية هي الوسيلة المثلى لبناء السلام، لأن كل سلام تم بناؤه على أساس من التوجيهات الدينية والمقاصد التشريعية للديانات السماوية يكون ذا جدوى ما دام ينبع من ذات الإنسان نفسه ولا يفرض من الخارج، وبناء سلام حقيقي بين أتباع الديانات إنما يتم عن طريق ترسيخ أسس متينة لثقافة حوار بناء وفاعل.

إن العالم اليوم في أمس الحاجة إلى المساعي النبيلة والجهود المبذولة هنا وهناك من أجل اللقاء بين الشخصيات الدينية والفكرية المرموقة وقادة العمل الديني قصد إبراز القيم المشتركة بين الإسلام والمسيحية وبناء ثقافة حوار على أساسها خاصة في وقت تبدو الحاجة فيه أكثر إلحاحًا في ظل اكتساح تيار العولمة لكل ما هو أصيل وثابت.

إن الصمود والتعبئة لمواجهة هذا التحدي المنذر بكل مخاطر التدمير للقيم الأخلاقية والإنسانية أمر مطلوب من علماء الدين ومفكريه الذين تلقى عليهم مسؤولية جسيمة لا تتحقق إلا بالحوار الموصول واللقاءات المباشرة المتتالية، والمتابعة الهادفة وتحري اللقاء والوفاق على القواسم والمبادئ المشتركة في سبيل مواجهة مختلف التحديات ومخاطرها وتطويق آثارها وانعكاساتها السلبية.

الأقليات المسلمة

بين الحق في الهوية الثقافية والدينية وواجب الالتزام بالقوانين والدساتير المحلية

د. المحجوب بنسعيد
خبير برامج الاتصال والحوار والعمل الثقافي الإسلامي خارج العالم الإسلامي ـ المغرب

تعد زيارة معالي الشـــيخ الدكتور محمد العيسى، الأمين العام لرابطة العالم الإســـلامي لمدينة واشنطن في الولايات المتحدة الأمريكية خلال الأسبوع الأول من شهر نوفمبر ٢٠١٩، ولقاؤه بأعضاء فاعلين في الكونغرس، من المبـــادرات المهمة والبالغة الأثر لتصحيح المعلومات الخاطئة عن الإســـلام وحضارته، والتعريف الفاعل بالرؤية الإسلامية المستنيرة والحضارية القائمة على الوسطية والاعتدال والداعية إلى السلم والحوار والتسامح والتعايش بين أتباع الأديان.

لقد أكد معاليه في هذه الزيارة على ضرورة تشجيع الأقليـــات الدينية على الانســـجام في مجتمعاتها، ودعا الأقليات المسلمة للالتزام بقوانين البلدان التي يعيشون فيها واحترام الدساتير والقوانين التي يجري بها العمل، والعزوف عن تلقي الفتاوى الدينية من جهات خارجية لا علاقة لهـــا بالتحولات والخصوصيـــات الاجتماعية والسياســـية للبلـــدان التي يقيمون فيهـــا كمواطنين يشكلون جزءًا من التنوع الثقافي والديني.

إنها دعوة مهمة تقطع الطريق على الذين يتاجرون بقضايا الأقليات المسلمة في المجتمعات الغربية ويرفعون شـــعارات دار الكفر ودار الإيمـــان، وينشرون الفتنة والهلع والخوف والتطرف والغلـــو مما يسيء لصورة الإسلام والمسلمين. لقد جاءت هذه الدعوة منسجمة مع توجهات وثيقة مكة المكرمة الداعية إلى احترام المواطنة الشاملة، والولاء الصادق للوطن، والمحافظة على الأمن، والسلم الاجتماعي.

لذلك فإن دعوة معالي الأمين العام تمثل مشروع عمل متعدداً وشاملاً يتضمن جوانب التثقيف القانوني، والتأطـــير التشريعي، والتواصـــل الحضاري، وتعزيز العلاقات مع منظمات المجتمـــع المدني، والانفتاح على القوى السياسية في الدول الغربية.

لقد اكتســـبت الأقليات والجاليات المسلمة في معظم البلدان الغربية كيانًا قانونيًا يوفر لها إمكانات الاندماج في المجتمعات التي تعيش في وسطها على النحو الذي لا يفقدها خصوصياتها، ولا يؤثر في تركيبتها الاجتماعية التي تســـتند إلى الهوية الثقافية الحضارية التي تتميز بهـــا، بحيث صار اندماج هذه الأقليـــات والجاليات في الحياة العامة للمجتمعات الغربية، لا يتعارض مع صفة التمايز الحضاري الذي يطبع المجتمع الإســـلامي في أي بقعة من الأرض ينشأ ويتكون هذا المجتمع. وهو الأمر الذي يجعل هذه الأقليات والجاليـــات في موقع القدرة على الحوار والتعايش مع جميع الفئات في مجتمعاتها،

ويمكنها في الوقت نفسه، من التعامل المتكافئ مع الظروف المحيطة بها، وبقدر كبير من الاستقلالية في القرار، والحرية في التصرف.

كما أصبحت إشكالية اندماج الأقليات والجاليات المسلمة والتزامها بالقوانين والدساتير المحلية هما سياسيا ومصدر قلق لكافة الحكومات الغربية التي يوجد على أراضيها عشرات الآلاف من المسلمين. والسبب يعود في الغالب لأمرين اثنين؛ من جهة الاكتفاء بالمطالبة بتطبيق ما ينص عليه العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية بخصوص قضية حقوق الأقليات، حيث تنص المادة (٢٧) من العهد على أنه: «لا يجوز في الدول التي توجد بها أقليات إثنية أو دينية أو لغوية أن يحرم الأشخاص المنتسبون إلى الأقليات المذكورة من حق التمتع بثقافتهم الخاصة أو المجاهرة بدينهم وإقامة شعائره أو استخدام لغتهم بالاشتراك مع الأعضاء الآخرين في جماعتهم». ومن جهة أخرى تأثير الفتاوى المغرضة للجماعات المتطرفة التي استطاعت أن تنشر أفكارًا مضللة تقول بأن قوانين الغربيين وضعية لا يعتد بها لأنها مخالفة للشريعة وللقوانين الإلهية، وإن المجتمعات الغربية دار كفر يجب شرعًا مقاطعتها والجهاد من أجل تحويلها إلى دار إيمان.

في يوم ١١ أبريل ٢٠١١ صادقت الجمعية العامة للأمم المتحدة على القرار رقم ٦٥/ ٢٢٤ الذي يمنع الإساءة للأديان، ودعت كافة الدول إلى ضرورة تطبيق أحكام الإعلان الخاص بالقضاء على جميع أشكال التعصب والتمييز القائمين على أساس الدين أو المعتقد من خلال الحرص في إطار أنظمتها القانونية والدستورية على توفير الحماية الكافية من جميع أعمال الكراهية والتمييز والتخويف والإكراه الناجمة عن الحط من شأن الأديان ومكانتها.

لقد شرعت الدول الأعضاء في اتخاذ بعض الخطوات لحماية الحرية الدينية، واحترام الأديان، بلجوئها إلى سن قوانين لمنع الإساءة إلى الأديان، ومنع عرض الصور النمطية السلبية عن أتباع الأديان. لكن مع ذلك فإن هذه الصور النمطية، مازالت تنتشر بقوة في بعض الدول الغربية تحت مبرر حرية الرأي والتعبير، وحرية الإعلام. ولا تزال هذه الدول تتردد في إصدار تشريعات وطنية، انسجامًا مع ما التزمت به من قواعد القانون الدولي لحقوق الإنسان، من أجل معاقبة من ينتهك حرمة الأديان حتى ولو تذرع بحرية الرأي والتعبير التي تتناقض جملة وتفصيلا مع الكراهية والتمييز الدينيين.

دأبت كثير من وسائل الإعلام في أوروبا على ترويج صور نمطية سيئة عن الإسلام والمسلمين، في تناقض صارخ مع مبادئ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والاتفاقيات والإعلانات الدولية ذات الصلة باحترام التنوع الثقافي، وتعزيز الحوار بين الحضارات، ومنع الإساءة للأديان ومقدساتها، وكان من نتائج هذه الحملة الإعلامية الشرسة، تعرض الأقليات المسلمة في الدول الأوروبية للتمييز الديني والعرقي، واستفحال ظاهرة الإسلاموفوبيا.

إن ما يرتكب من إساءة وانتهاك لحقوق الأقلية المسلمة، عبر وسائل الإعلام أو غيرها، في أي دولة من الدول الأوروبية يندرج ضمن مسؤولية هذه الدول التي يتوجب عليها التدخل من أجل منع ذلك ومتابعة القائمين به قضائياً، باعتبار أن تصرفاتهم تدعو إلى العنصرية والكراهية، وإثارة الفتن، والمساس بحقوق الآخرين، وإلى التمييز ضدهم على أساس الجنس، أو العرق، أو اللون. وهو تصرف ترفضه كل المواثيق والقوانين الدولية، وفي مقدمتها ميثاق الأمم المتحدة، الذي أكد في مادته الثانية على «حماية حقوق الإنسان والحريات الأساسية للناس جميعًا دون تمييز على أساس العنصر أو اللغة أو الدين» واتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز العنصري لعام ١٩٦٥، التي تشكل الأساس القانوني للإعلانات ولمختلف القرارات ذات الصلة، لأنها تشجب التمييز العنصري بكافة أشكاله وتشجب

الدعاية والتنظيمات القائمة عـــلى الأفكار والنظريات القائلة بتفوق أي عرق أو أي جماعة.

إن الخطابات العنصرية، ســـواءً تلك الموجهة ضد الديانة الإسلامية والمسلمين عمومًا، أو الموجهة إلى الأديان الأخرى، ممنوعة ومحرمة من وجهة نظر قواعد القانون الدولي، لأنها تدخل تحت مفهوم «التعبير المحمل بالحقد والكراهية». ومن المعلـــوم أن الخطابات ذات الحمولة العنصريـــة والحاقدة، هي في أغلب الأحيان موجهة ضد الأقليات المعزولة، وهو ما ينطبق على الأقلية المسلمة في أوروبا وفي الغرب بصورة عامة. وإذا كانت بعض الدول الأوروبية تحاول تقييد هذه الخطابات، فإن ذلك يبقى الغالب بدون جدوى.

وبالرجوع إلى القوانـــين الجنائية في مختلف الدول الأوروبية، يلاحظ أنه في مجمـــوع هذه القوانين يمكن التمييز بـــين القوانين التي تؤكد عـــلى حماية النظام العام، وتلك التي تســـعى إلى حماية الكرامة الإنسانية. فالخطابات العنصرية التي تستهدف مجموعة أو أقلية ما، قد تعد تهديدا للنظام العام، وبالتالي فهي من حيث درجة خطورتها تعادل السب والقذف الموجه لشخص محدد بعينه.

إن هذه القوانين في كثير من الأحيان لا تحمي حقوق الأقليات في حـــد ذاتها، رغم كونها تؤكـــد على حماية الكرامة الإنســـانية، وحماية النظام العام. ففي بعض الدول الأوروبية يتم منـــع الخطابات العنصرية المبنية على الكراهية، لكـــن يتم التغاضي عن الخطابات الموغلة في العنصرية والكراهية التي تســـب وتحتقر وتسيء إلى الإسلام والأقليات المسلمة.

دور رابطة العالم الإسلامي في توعية الأقليات المسلمة بواجباتها وحقوقها

انطلاقاً من رســـالتها الحضاريـــة الهادفة إلى نشر ثقافة الســـلم لتحقيـــق الأمن المجتمعي، واســـتلهامًا لمبادراتها الدولية الرائدة في مجال ترســـيخ قيم العيش المشـــترك والاحترام المتبادل بين شعوب العالم، وتعزيز التسامح والحوار بين أتباع الأديان، والدفاع عن الهوية الثقافية للأقليات المســـلمة عبر العالم، وانفتاحها على الثقافات الأخرى، واندماجها في المجتمعات التي تعيش فيها، تعد اليوم رابطة العالم الإســـلامي أكثر المنظمات مصداقية وقدرة على توعية الأقليات المســـلمة في العالم على التشبث بهويتها الثقافية والدينية ومساعدتها على الالتزام باحترام القوانين المنصوص عليها في دســـاتير الدول التي تعيش فيها هـــذه الأقليات، إما كمهاجرين شرعيين أو مواطنين كاملي المواطنة.

وتنفرد رابطة العالم الإســـلامي بهذه الميزة دون ســـواها لأنها بادرت بإعداد وثيقة مكـــة المكرمة التي أكـــدت في توجهاتها على أن التنـــوع الديني والثقافي في المجتمعات الإنســـانية لا يُبرر الـــصراع والصدام، بل يستدعي إقامة شراكة حضارية إيجابية، وتواصلا فاعلا يجعـــل من التنوع جسرًا للحـــوار والتفاهم، والتعاون لمصلحة الجميع، ويحفز على التنافس في خدمة الإنسان وإسعاده، والبحث عن المشتركات الجامعة، واستثمارها في بناء دولة المواطنة الشاملة، المبنية على القيم والعدل والحريـــات المشروعة، وتبادل الاحـــترام، ومحبة الخير للجميع.

وتفعيلا لمبادرة معـــالي الأمين العام لرابطة العالم الإســـلامي المتمثلة في دعوة الأقليات المســـلمة للالتزام بقوانين البلدان التي يعيشـــون فيها واحترام الدساتير والقوانين التي يجري بهـــا العمل، والعزوف عن تلقي الفتـــاوى الدينية مـــن جهات خارجيـــة لا علاقة لها بالتحولات والخصوصيات الاجتماعية والسياسية للبلدان التي يقيمون فيها كمواطنين يشكلون جزءًا من التنوع الثقافي والديني، واستشرافاً لبرنامج عمل من أجل توعية الأقليات المسلمة في العالم بهذا الموضوع، يمكن الاشتغال في خمسة مجالات مهمة هي:

– مجال تعزيز الحقوق المدنية والسياسية للأقليات المسلمة.

- مجال تعزيز الانتماء الديني والوطني للأقليات المسلمة.

- مجال تحقيق الأمن الفكري والروحي والثقافي للأقليات المسلمة لحمايتها من الغلو والتطرّف.

- مجال النهوض بالأداء الوظيفي للمؤسسات الدينية والتعليمية والثقافية والإعلامية وتفعيل دورها في توعية الأقليات المسلمة بقيم الانتماء والمواطنة المنتجة والصالحة وثقافة حقوق الإنسان.

- مجال استثمار خبرة الكفاءات القانونية والحقوقية من أبناء الأقليات المسلمة في العالم.

ومن بين الأهداف التي يمكن العمل على تحقيقها في هذه المجالات:

- الدفاع عن الحقوق الثقافية والدينية والمدنية للمواطنين من أصول مسلمة في المجتمعات غير الإسلامية وبحث السبل الناجعة للحد من انتهاك حقوقهم.

- حماية الحقوق والمصالح المشروعة للأقليات المسلمة في المجتمعات الغربية، في إطار احترام القانون الدولي، والقوانين الجاري بها العمل في هذه المجتمعات.

- حث الأقليات المسلمة على المساهمة في تنمية البلدان التي يعيشون فيها، وتمتين أواصر الصداقة والتعاون مع حكومات ومنظمات المجتمع المدني في البلدان المقيمين بها أو التي يعتبرون من مواطنيها.

- العمل على دعم الأقليات المسلمة للتمتع بحقوق المواطنة كاملة، بما فيها حق التصويت والترشيح في الانتخابات، والمشاركة في الأعمال الخيرية والتطوعية والاستفادة من الحقوق الممنوحة للمواطنين على اختلاف انتماءاتهم الدينية والثقافية في بلدانهم.

- تعزيز قيم الاعتدال والحوار والتسامح والتآخي، ونبذ التعصب والكراهية المذهبية، وإبراز الخصوصيات الثقافية والفكرية للأقليات المسلمة في العالم.

- تفعيل الآليات الأكاديمية والمهنية والقانونية والحقوقية للحد من الصور النمطية عن الأقليات المسلمة في الإعلام الدولي.

- تأهيل الأسر والنساء والشباب والأطفال من الأقليات المسلمة في مجال التربية على المواطنة والاعتزاز بهويتهم الثقافية والدينية والمساهمة في تنمية المجتمعات المحلية التي يعيشون فيها.

- تمكين الكفاءات العلمية من أبناء الأقليات المسلمة في العالم من أداء دورها في خدمة قضايا الأقليات المسلمة، وتعزيز الشراكة والتعاون مع المؤسسات العلمية والأكاديمية الغربية من أجل تقديم الصورة الحضارية الحقيقية عن الإسلام والمسلمين.

ومن آليات العمل التنفيذية المقترحة لتحقيق الأهداف المذكورة:

- عقد اجتماعات للخبراء في مجال القانون والحقوق الخاصة بالأقليات الدينية.

- تنظيم لقاءات تواصلية بين القيادات ورؤساء المراكز الثقافية والجمعيات الإسلامية في الدول الغربية للتنسيق من أجل إنشاء لوبي حقوقي وقانوني متفاعل مع الرأي العام الغربي غير المسلم.

- عقد دورات تدريبية في مجال التثقيف القانوني والحقوقي لفائدة القيادات الشبابية الدينية.

- إعداد دلائل توجيهية لفائدة الأطفال والشباب حول الحقوق والواجبات في مجتمعات غير مسلمة.

- عقد شراكات مع منظمات المجتمع المدني المعنية بحقوق الأقليات في العالم.

- إعداد دراسات حول مظاهر التمييز العنصري ضد الأقليات المسلمة وحرمانها من حقوقها المشروعة في البلدان التي تعيش فيها.

رمضان ومعاني وحدة الأمة

بقلم: د. إبراهيم نويري ـ الجزائر

مما لا شكّ فيه أن من أبرز وأعظم المعاني التي يُجـدِّد صومُ رمضان بعثها من جديد، معنى الوحـدة التي تجمع المســـلمين قاطبة من شرق الأرض إلى غربها، ومن شمالها إلى جنوبها، حيث يشعر بها المسلم العربي في بلاد العرب، والمســـلم الإندونيسي والماليزي والأفغاني والباكســـتاني والصيني والهندي في بلاد آســـيا، والأوروبي المسلم في أوروبا، والأمريكي المسلم في أمريكا ـــــ شمالاً و جنوباً ـــــ كلهم قد وحَّدهم رمضان في عبادةٍ واحدة متّسقة لله رب العالمـــين، لها الكثير من التأثير على نظام حياتهم، حيث يســـتيقظ الجميع في وقت السَحَر ليتهيؤوا للصيام، كما يســـتعدّ الجميع أيضا لتناول طعام الإفطار في وقت الغروب.

ولهـــذه العبادة الجليلة تأثير عقدي وفكري ونفسي عميق على الإنسان المسلم، إذ شـــاءت الحكمة الإلهية أن يكون نزول القرآن في شهر الصوم، ليكون المحور الجامع لكلّ شـــؤون المسلمين، منه يســـتمدون مقوّمات حياتهم العامة، ويسترشدون بهداياته الشاملة لكلّ مجالات الحياة والنشاط الإنساني المتحرّك المؤار.

كما أن لهذه العبادة الروحية الجليلة تأثيراً نفســـياً وروحياً وأخلاقياً كبيراً مشهوداً، إذ تغصُّ المساجدُ بجمهور المصلين المقبلين على تلاوة كتاب الله تعالى وتدبّر أحكامه وهداياته بخشـــوع واســـتكانة لله ربّ العالمين، فتصفو الأرواح وتزكو النفوس وتشفّ الأفئدة والضمائر، ويحسّ الجميع بوحدة الأمة الكبرى من خـــلال الارتباط اليومي بالقرآن العظيم طيلة أيام ولياليِ الشهر المبارك الفضيل.

إن أمة تتوحّد في نظام حياتها، وتتآلف في القدرة على ضبط نوازع شهواتها ومآرب غرائزها، وتتسق في مرجعية فكرها وعقيدتها ومنظومة حياتها في شـــتى المجالات، كما تتوحّد في مشاعرها وأشـــواقها وآمالها، ويتحقق لها ذلك من خلال عبادة واحدة، وفي شـــهر واحد، لا بدّ أن تكون مهيأة للنصر والعزة والمجد. ولا بدّ أيضا أن تكون عصيّة على أعدائها ومناهضي مشروعها ورؤيتها ومنهجها في بناء الإنسان الصالح وصياغة الحياة والفكر والحضارة.

أجل أخي المسلم إنّ صوم رمضان عبادة وقربى وركن جليل يوحّد بين المسلمين في أوقات الفراغ والعمل، وأوقات الطعام والشراب، كمـــا يضفي على علاقاتهم وتصرفاتهم وسلوكياتهم وقعاً فريداً، بما يُفرغ عليهم من سكينة الإنابة إلى الله، وبما يرطب ألسنتهم بالذكر والتسبيح ويعفّها عن التجريح والإيذاء والخوض في أعراض خلق الله، كما يسدّ عليهم منافذ الـــشر والتفكير فيه، ويملأ قلوبهم وأفئدتهم بمحبة الخير لعباد الله وخلائقه عامّة، ويغرس في نفوسهم وعزائمهم خُلق الصبر ومجابهة مشاق الحياة بثبات مهما عظمت ومهما اشتدّت وطأتها.

ولنا أن نتصور أو أن نفترض لو يمكن أن تســـتمر معاني هذه الوحدة التي نحســـها في شهر الصوم قائمة في واقع حياة الأمة المســـلمة وهي رقم ضخم جدًا من عدد ســـكان الأرض، وهي التي تتوزع أراضيها في كلّ جهات المعمورة، وهـــي التي تمتلك من الثـــروات والخيرات ما يجعلها من أغنى أمم الأرض... لو اســـتمرت معاني هذه الوحدة في الحضـــور، ولو تمّ تفعيلهـــا في الواقع الحي المتحرك، هل هناك قوة في الأرض تستطيع الوقوف في وجه هذه الأمة وتحريف وجهتها في الحياة إلى غاية أو إلى وجهة لا ترغب فيها؟!

أعتقـــد جازماً أن ذلك لا يمكن أبـــداً، لأن الوحدة قوة وعزّة، والتشتت والخلاف ضعف ووهن.

نســـأل الله القديـــر أن يوفق هذه الأمـــة إلى تحقيق وحدتها وتفعيلها كي تستعيد دورها ورسالتها في الشهود الحضاري ونفع الإنسانية قاطبة ببركات ومقاصد الرسالة الخاتمة. والله وليّ التوفيق.

المقارئ الإليكترونية..
التقنية في خدمة كتاب الله

إعداد: نزار عبد الباقي أحمد

لعبت مراكـــز وجمعيات حفظ القرآن المنتشرة في معظم الدول العربية والإســـلامية دورا كبيرا خلال الفترة الماضية في حفظ وتعليم القرآن الكريم، خصوصا للشباب والنشء، مما كان له أكبر الأثر في تخريج أجيال متواصلة من حفظة كتاب الله. ورغم ذلك الدور الفعال، إلا أن التعقيدات التي اســـتجدت في حياتنا المعاصرة، وكثرة المشغوليات، وتعدد المهام، وانشغال الطلاب والشباب بدروسهم العلمية التي ربما تأخذ معظم ساعات يومهم، إضافة إلى التطورات المتسارعة التي يشهدها عالم اليوم، لا سيما في مجال التقنية، وكثرة الملهيات وأدوات الترفيه التي ربما تغري الشباب بالعزوف عن الذهاب إلى حلقات التحفيظ، فرضت حتمية اللجوء إلى خيار جديد، يساعد في استمرار تلك المسيرة المباركة.

ويشير كثير من العاملين في حلقات تحفيظ القرآن الكريم إلى بروز ظواهر سلبية تعترض سير العمل، مثل فتور بعض الطلاب, والتـــسرب من حلقات التحفيظ، وضعـــف الأداء, وهروب بعض المعلمـــين والمعلمات مـــن العمل، في ظل وجود عروض أخـــرى أكثر إغراء وجاذبية، لا ســـيما في هذا العصر الذي تشـــعبت فيه الاحتياجات المادية. كل ذلك إضافة إلى الصعوبات التي تعترض بعـــض الجمعيات العاملة في مجال التحفيظ، مثل ضعف الإمكانات المادية وقلة الموارد، وعدم وجود مصادر صرف ثابتة.

حلول مبتكرة

في ظـــل هذا الوضع كان لا بد من البحث عن حلول مبتكرة، تضمن استمرار مسيرة تحفيظ القرآن الكريم، وتضع في الاعتبار الظواهر والسلبيات المذكورة، وهنا تفتحـــت عبقرية البعض عن المقـــارئ الإليكترونية، ويقصد بها استخدام التقنية لتحفيظ القرآن الكريم، وتنقسم إلى نوعين، إحداهما على شبكة الهاتف والأخرى على شبكة الإنترنت.

ويُعَدُّ الإقراء الإليكترونـــي والهاتفي تقنية حديثة تســـهم في إتاحة الفرصة كاملة لتعليم القرآن الكريم بصورة صحيحة لكثير من المســـلمين الذين يعيشون في دول غير إســـلامية، ممن لا يوجد في بلادهم أساتذة مؤهَّلون يقومون بالتعليم القرآني، أو يوجدون بأعداد بسيطة غير كافية للإيفاء بالحاجة المتزايدة، لا سيما في ظل دخول كثير من الناس في الإسلام. كما تمتد الآثار الإيجابية لوسائل التقنية الحديثة ولا تقتصر على مجرد التعليم الإليكتروني، بل يمكن استخدامها في الجوانب الإدارية وأعمال الأرشفة والشق المالي، ومتابعة الإشراف على الجمعيات.

سهولة وسلاسة

في المقـــرأة الهاتفية يقـــوم معلمون متخصصون ومجازون بالاســـتماع إلى القارئ ويصوبون خطأه، وتتيـــح هذه المقرأة للجميع تعلـــم القرآن الكريم من بيوتهم ومكاتبهم بطريقة سهلة ويسيرة وذلك بمجرد الاتصال على رقم محدد تنضوي تحته عشرات الخطوط الهاتفية، وهـــذه الخطوط تكون متاحـــة على مدار ساعات اليوم، حيث يعمل فيها معلمون متخصصون، كل منهم يوجد لعدد معين من الساعات. وتعد المقرأة الهاتفية نقلة نوعية تضاف إلى الخدمات المتنوعة التي تقدمها جمعيات التحفيظ، وبإمكانها مســـاعدة كافة شرائح المجتمع التي لا تستطيع الحضور إلى المساجد وحلقات التحفيظ، لا ســـيما النساء، إضافة إلى الذين لا يملكون القدرة على الدخول إلى شـــبكة الإنترنت، أو ليست لهم المعرفة التامة بتلك التقنيات الحديثة. كما أنها أكثر سهولة وأقل تكلفة، ولا تتطلب أكثر من وجود جهاز هاتف ثابت أو محمول، لذلك فقد قامت ولا تزال بدور كبير في استمرار مسيرة تحفيظ القرآن الكريم.

تقنية عصرية

تعتمد المقـــرأة الإليكترونية على شـــبكة الإنترنت بصورة تامـــة، حيث يتـــم تحديد مواعيـــد معينة خلال ســـاعات اليوم، يراعى فيها عودة الطلاب من مدارسهم وانتهاؤهم من استذكار ومراجعة دروسهم، حيث يقوم المقرئ بالدخول عـــلى النظام، من خلال متصفح الإنترنت، ثـــم الدخول على الدرس، لتظهر له شاشـــة المقرأة الإليكترونية، والتي من خلالها يقدم محاضرته، ويتم بث الـــدرس بالصوت والصورة إلى الدارسين، بعد ذلك يتم الاستماع إلى تلاوات الدارسين، وتصحيحها لهـــم، وكتابة الملاحظـــات. ولا تقتصر الفوائد على الطـــلاب الذين يقومون بالتلاوة فقط، بل إن جميع الحاضرين يرصدون الملاحظات التي أبداها المعلم، ويتجاوزون الأخطـــاء التي ذكرها. كما يمكن للمعلم الشرح باستخدام ســـبورة اليكترونية للكتابة عليها، لمزيد من الشرح، إضافة إلى استخدام الوسائل التعليمية والعروض التوضيحية. وكما تكون الفوائد عامة، يمكن لمن يريد أن يقوم بالاتصال بالمعلم وإجراء مكالمة خاصـــة بعد الانتهاء من الدرس. كذلك بإمكان الطلاب تســـجيل المحاضرة كاملة للاطلاع عليها فيما بعد ومراجعتها لاحقا.

المسؤولية الاجتماعية

رغم أهمية الأخذ بالوســـائل التقنية لنشر القرآن الكريم، إلا أن البعض يرى أن تلك مســـؤولية كبيرة تحتاج للكثير من الجهد والمال، وقد لا تكون الجمعيات قادرة لوحدها على القيام بها، لا ســـيما في ظل تزايد الإقبال على اســـتخدام هـــذه التقنية مـــن الطلاب

والدارســـين، مما يفرض توظيف العديد من المدرسين والتقنيين، والاســـتعانة بأحدث أجهـــزة الكومبيوتر. ويشـــير هؤلاء إلى ضرورة تفعيل دور القطاع الخاص في هـــذا الجانب، خصوصا في ظل وجـــود العديد من الشركات الوطنية التي تســـهم ولله الحمد في أعمال الخير، وتولي جانب المسؤولية الاجتماعية قدرا كبيرا من اهتمامها. لذلك ينبغي زيادة مســـاهمة تلك الشركات في توطين وسائل التقنية، وتدريب الكفاءات البشرية، لتوفـــير فرصة تعليم وتحفيظ القـــرآن الكريم لكافة فئات المجتمع، بالوســـائل التقنية الحديثة، وملاحظة أن ربط الشباب بالاستخدامات الإيجابية للتقنية كفيل بإبعادهم عن التطبيقات الضارة لها.

اهتمام متزايد

أولى «المؤتمر العالمي الأول لتعليم القرآن الكريم»، عناية خاصة لاســـتخدام التقنية في تحفيظ كتاب الله، لأن ذلك يحقق الانتقال مـــن الإقليمية والمحدودية من حيث أعداد المســـتفيدين وفئاتهم، إلى التوسع عالميا. وتطبيق تجربة التعليم عن بعد، والاســـتفادة منها في تعليم القرآن الكريم وتجويده. وتوفير التعليم للراغبين في تعلم كتاب الله في أي زمان ومكان. وإيجاد جسور للتواصل مع الجاليات الإسلامية التي تعيش في الخارج، من خلال الجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم.

وخرج المؤتمر بالعديد من التوصيات، منها «تدعيم مواقع المقارئ الإليكترونية، بواسطة استخدام الوسائط المتعددة، بهدف تصميم موقع إسلامي متميز للمقرأة الإليكترونية. وتبادل الخبرات بين مؤسســـات التعليم الإليكترونية داخل المملكة، ودول العالم الإســـلامي، لتكون مدارس قرآنية متكاملة، لتدريس علوم القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، عبر الإنترنت. كما دعا المؤتمر إلى الاســـتفادة من تقنيـــة الهواتف المحمولة، وتطوير نظام تقني، يســـاعد على استخدامها كإحدى الوسائل التعليمية الجديدة.

عمل بلا ورق

يؤكد مدير الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم في جدة، المهندس عبد العزيز حنفي، أن الجمعية هي صاحبة السبق في هذا المضمار، ويقول «جمعيتنا هي أول جمعية تحفيظ رفعت شعار «عمل بلا ورق» حيث يستخدم الحاسوب في جميع فروع الجمعية، وفي عملها الإداري بالكامل، وكذلك مشروع المقرأة الإليكترونية الـــذي ينفذه معهد الإمام الشـــاطبي، لتقديم دورات قرآنية في دروس تحسين التلاوة، ودروس التجويد من خلال نافذة المقارئ الإليكترونية، في برنامج «البالتوك» بالإضافة إلى برامج أخرى مثل «الأنسبيك» و«ماسنجر الياهو» و«ماسنجر الهوتميل»، حيث يتم التفاعل بين المدرس والراغبين في المشاركة من خلال الإنترنت، وقد نشـــأت المقرأة الإليكترونية في رجب عام ١٤٢٤هـ، وكانت بداية الفكرة من خلال إقامة دورات في صيف عام ١٤٢٣هـ، وكان مـــن فعالياتها أنها تفتح يومياً ولمدة ساعتين خلال فترة الدورة، ولاحظنا شدة الإقبال عليها من جميع أنحاء العالم».

برامج موسعة

يواصل حنفـــي قائلا «هذا الإقبال شـــجع إدارة المعهد على تبني الفكـــرة، وأن تكون بصورة دائمة، بهدف خدمة المجتمع المسلم وتوعيته بأهمية القرآن الكريـــم وعلومه وربطهم به علماً وعملاً، وتوســـيع نطاق نشـــاطات المعهد جغرافياً ليشمل جميع أنحاء العالم، وذلك بالاستفادة من وسائل التقنية الحديثة. والمشروع يأتـــي ضمن برامج عـــدة يقدمها معهد الإمام الشـــاطبي منها دبلوم إعداد المعلمين ودبلوم علوم القراءات والبرنامج التأهيلي الشـــامل. ويهدف المعهد من خلال تقديم هذه البرامج إلى تأهيل معلمي ومعلمات القرآن الكريم وإعدادهـــم علمياً وتربوياً ومهارياً، وتأهيل وتدريب منســـوبي ومنســـوبات الجمعيات الخيرية لتحفيظ القـــرآن الكريم، ونشر

البحوث والدراسات القرآنية، وتيسير الوصول إلى المعلومات المتخصصة في القرآن وعلومه، وتطوير مناهج وأساليب تعلم وتعليم القرآن الكريم، وتطويع التقنية الحديثة. وإحياء سنة الإقراء، وتخريج الحفاظ المجازين في القراءات، وتعليم أحكام التجويد وقواعد التلاوة لكافة فئات المجتمع.

تسخير التقنية

يشير رئيس الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بمنطقة القصيم، الشيخ سليمان بن عبدالرحمن الربعي، إلى أهمية استخدام وسائل العصر الحديثة لنشر كتاب الله، والسعي إلى جذب الشباب لحلقات التحفيظ عبر هذه التقنية التي باتت تستهويهم، مؤكدا أن كثيرا من الجمعيات ومنها جمعية القصيم قد قطعت خطوات كبيرة في توظيفها لتعليم كتاب الله وحفظه، وكذلك في الشأن الإداري وتصريف الأمور الإدارية والتعليمية للجمعية ومتابعة الإشراف على الفروع، وأضاف «يمكن توطين وسائل التقنية العصرية في خدمة القرآن الكريم عن طريق ربط الشباب بالجمعيات باستخدام المقارئ الإليكترونية صباحاً ومساءً والتعليم عن بعد، مع توفير الكفاءات المؤهلة التي تستطيع التعامل مع هذه الوسائل الحديثة وتوظيفها بما يتواكب مع متطلبات العصر والوسائل التعليمية المفيدة التي تجذب الشباب، وينبغي على الجمعيات كذلك إقامة دورات للطلاب لتعريفهم بالمستجدات التقنية وكيفية التعامل معها والاستفادة منها.

تماثل الفائدة

يرى عضو لجنة مراجعة المصحف بالأزهر الشريف، الشيخ سلامة كامل قناوى أن التعليم الإليكتروني هو طريقة من طرق التعليم باستخدام آليات الاتصال الحديثة، سواء كان عن بعد أو في فصل دراسي، ويقول في حوار صحفي «تستخدم مثل هذه التقنيات بجميع أنواعها في إيصال المعلومة للمتعلم بأقصر وقت، وأقل جهد، وأكبر فائدة، ومن مجالات التعليم الإليكتروني الموجودة على شبكة الإنترنت ما بات يعرف باسم «الإقراء الإليكتروني»، وهذا من ابتكارات العصر الحديث. فلا يكاد يوجد فرق بين التعليم عن بعد والتعليم الواقعي، فأهم جانب في مسألة التلقين هو السماع، والسماع عن بُعد كالسماع الواقعي تماما, فالمعلم يستمع حيثما كان، وكأنه بجانب طلابه ولا تشترط الرؤية؛ إذ من المعلوم أن بعض علماء القرآن من المكفوفين ورغم ذلك يؤدّون رسالتهم على أكمل وجه؛ إذن السماع هو أهم جزء بين المتلقي والمعلم؛ ولذلك فهو يُجزي تماما عن التلقين الواقعي , ورغم أن إمكانية الرؤية عن بُعد متاحة لدينا، لكننا لا نحتاج إليها».

فوائد متعددة

وحول ما حققته المقارىء الإليكترونية من إنجازات يقول قناوي «هذه الوسيلة الجديدة لها مميزات عدة لا توجد في نظيرتها الواقعية، منها سهولة التواصل بين الطالب والمعلم، كل في مكانه، وسهولة التعلم والتواصل مع المتخصصين والمؤهلين والبارعين من بلدان شتى, ورفع الحرج عن المرأة؛ فهي تستطيع التعلم في بيتها وبين أهلها ولا تحتاج للخروج من منزلها, عدم تحرُّج الرجال والنساء من الذهاب إلى حلقات التحفيظ، بسبب ما رسخ في أذهان الكثير أن التحفيظ خاص بالأطفال فيمتنعون عن الذهاب إلى دور التحفيظ، إضافة إلى التغلب على تضارب المواعيد بين الأنشطة اليومية وبين التوفيق في المواظبة على مواعيد منتظمة لحلقات التحفيظ، وذوبان الفوارق الجغرافية المتباعدة, وتقليل نفقات الدراسة, وتوفير أوقات التنقل. كما أن هذه الوسيلة جيدة للبلدان التي لا يوجد فيها مراكز وشيوخ بسبب بُعد المسافة أو الانشغال بأمور ضرورية, أما من أراد التخصّص في هذا المجال فلا بد له من القراءة على الشيوخ أهل الاختصاص بالتلقين المباشر».

العالم يحتفي بالمخترعين والمبتكرين والمؤلفين

محمـد الدسـوقي

لا يُجادِلُ عاقلٌ في أنّ العلمَ والإيمانَ والعملَ أســاسُ تقدّم الدول، ومنْ أهمّ أسباب تطورِ المجتمعاتِ وتَحضّرها وازدهارِها وتنميتِهــا الدائمة؛ الأمرُ الــذي يبرزُ أهمية تشــجيع العلماءِ على تقديم الجديدِ المفيدِ النافع لدولِهم ومجتمعاتِهــم، بتوفيرِ الجوّ المناســبِ لإبــداع العلماء والمفكرين، والاعترافِ بحقوقِهم الفكريةِ المختلفة، والعملِ على حمايتِها.

ولا يخفَى على منصــف أنّ حماية حقــوقِ العلماء والمبدعين والمبتكرين والمخترعين في مختلفِ المجالات تمثلُ حافزا قويا على مواصلة البحث والدراســة، ودافعا لهم للمزيد من الإنتاج.

وهكذا تَبرزُ أهمية حمايةِ حقوقِ (الملكية الفكرية) على العديدِ من الأصعــدة العلمية، والاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية.

وإذا كانتْ دولُ العالم قد ســعتْ إلى عقدِ الاتفاقيات والمواثيق، ووضعت القوانينَ والنظمَ لحماية حقوق الملكية الفكرية وخصصــتْ يومين عالميين في شــهرِ إبريل من كلّ عام للاحتفاء باليــوم العالمي للكتَاب وحقوق المؤلف واليوم العالمي لحقوقِ الملكية الفكرية؛ فالذي لا شــكّ فيه أنّ الإسلامَ بتعاليمِه الســامية وقيمِه الفاضلة ومقاصدِه النبيلة ســبقَ مواثيقَ الدنيا كلّها في حماية تلك الحقوقِ في جميع المجالاتِ والميادين.

فالمتأملُ في تعاليم الإســلام يدركُ أنها جعلتْ حقوقَ الملكية الفكرية مصونَة شرعًا لأصحابِها، واعتبرتْ الاعتداءَ

عليها سرقة وغشًـــا وتعديًا على أموال الناس وحقوقِهم، وأكلا لها بالباطل.

وتنبعُ حماية الحقوق في الإسلام من الإيمانِ بالله تعالى، والتزام الأمانة، وأداء الواجب، واستشـــعارِ المسؤولية في حفظِ حقوق الناس. أما إهدارُها فيؤدّي إلى تنامي المفاسدِ، وتعاظم أسبابِ التخلُّف، والتراجع الحضاري، والضعفِ الاقتصـــادي، والابتعاد عن البحثِ العلمي، وتوقفِ الإبداع الفكري والابتكار في مختلف المجالات.

فما أبـــرزُ حقوقِ الملكية الفكرية التـــي اهتمتْ دولُ العالـــم بحمايتها؟ وكيف ســـبقَ الإســـلام إلى إحاطتِها بالصيانة والحفـــظ والرعاية؟ وإلى أي حدّ يحتاج العالم، وهـــو يحتفلُ بتلك الحقوق، إلى الإفادة من قيم الإســـلام وهديه في هذا المجال؟ وهلْ تقفُ تلكَ الحقوقُ حائلا دونَ إفادةِ المجتمعاتِ من الابتكارات والاختراعات؟ وما أثرها في تشجيع البحث العلمي، وتعظيم مسيرة التنمية الشاملة؟

الحقيقـــة أن موضـــوع الملكية الفكريـــة من أبرز الموضوعات التي ظهـــرت أهميتها مع التقـــدُّم العلمي والتجاري والصناعي والتِّقَنِيِّ الذي يعيشه العالم بأسره، ولها أثرها الواضح في اقتصاد الأفراد والأُمم على حد سواء.

ويذهـــبُ بعض العلماء والخـــبراء إلى تعريف الملكية الفكرية بأنها «حق الإنسان فيما جاد به عقله أدبيًا وماليًا مما فيه نفع للبشرية».

والإنتاج الفكري لو كانت له صورة مادية معينة مثل الكتاب أو الأسطوانة أو نحو ذلك فلا خلاف في جواز بيعه وشرائه، ولا يجوز التعدي عليه بالسرقة أو الإفساد، وقيمة هذا الشيء المادي لا تقف عند حدود المواد الأولية المصنوع منها، بل تُكتسب أيضا من قيمة الفكر والإبداع الذي فيه.

ومن أبرز أســـباب العناية بهـــذا الموضوع أن حقوق الاختراع والتأليف والابتكار لهـــا علاقة مباشرة واتصال دائم باحتياجـــات الناس المادية المتمثلـــة في الاختراعات والصناعات واحتياجاتهم المعنويـــة المتمثلة في المؤلفات بأنواعها.

ويضاف إلى ذلك ما يتردد في الواقع، وتتناوله وســـائل

حماية الملكية الفكرية تستهدف تشجيع العلماء وتنمية المجتمعات

أبرز أسباب التقدم الإيمان والعلم والعمل والتربية ويقظة الضمير

الإعلام عن غيـــاب الأمانة العلمية، وتفـــشي الاعتداءات على حقـــوق الآخرين وجهودهـــم وابتكاراتهم من تقليد المخترعات، وسرقة المؤلفات، والاتجار بها، والاسترباح من ورائها، الأمر الذي يحتاجُ إلى بيان موقف الإســـلام منها، والزواجر الشرعية لها.

وقد تأكدت الحاجـــة إلى العناية بهذا الموضوع في ظل التقدُّم الحضاريِّ الذي يعيشـــه العالم، وبعد انتشـــار الوسائل الحديثة التي استغلها البعضُ في ممارسات سلبية تعاظمَتْ معها السرقات العلمية والأدبية، وتفشى التقليد، وانتشر الغش التجاري والصناعي، وغيرها من الأمور التي تتنافى مع تعاليم الإسلام وقيمه.

حقوق أدبية ومالية

ومهما يكـــنْ الاختلافُ في تســـمية «الملكية الفكرية» وتصنيفها، وتحديد مـــا يدخل فيها من حقوق؛ فالذي لا خلافَ فيه أنها نِتَاجُ الذِّهن البشري وابتكاره، وتشـــملُ حقوقا مهمة تستوجبُ الحماية التي تعودُ آثارها مباشرة على أصحابها والمجتمع.

وتنقسم حقوق المؤلف ـ عند أغلبية العلماء والمفكرين والباحثين والخبراء ـ إلى نوعين: الأول هو «الحق الأدبي» أو «الحق المعنوي» وهو حقٌ ثابتٌ أصيلٌ ملازمٌ لصاحبه، بمعنى أنه لا يجوز تنازل المؤلف عنه مطلقا، ولا يســـقط بالتقادم مهما يطل عليه الزمن.

ويتفرع عـــن «الحق الأدبي» مجموعـــة من الحقوق الأخرى المهمة الثابتة للمؤلّف تشـــمل: حق نسبة مؤلَّفه إليه، وحق تقرير نشره من عدمه، وحق الاعتراض على أي تشويه أو تحريف يلحق بمؤلفه، وحق حجبه عن التداول إذا وجد به ما يسيء إلى سمعته أو معتقداته وأفكاره.

أما النوع الثاني من حقوق المؤلف؛ فهو «الحق المادي» أو «الحق المالي» المتمثل في استغلال الإبداعات والاختراعات تجاريا؛ بإتاحة المصنف للجمهور بالنشر، أو البث، أو من خلال شـــبكة الإنترنـت، أو غيرها. وهذا أيضا حق ثابت أصيل للمؤلف والمبدع والمخترع غير أنه يجوز له التنازل عنه.

ويعتبر الشخص مؤلفا إذا نُشر المصنفُ المبتكرُ منسوبا إليه، سواء بذكر اسمه على المصنف أو بأي طريقة أخرى ما لم يقم دليل على نفيه. وهذه النسبة لا يجوز لصاحبها التنازل عنها لينتحلها شـــخص آخـــر. ويرى الناظر في آداب التأليف عند المسلمين التنويه بلزوم التصريح باسم المؤلف للوثوق به، وعند بعضهم أن المؤلف المجهول النسبة كالرواية عن مجهول الحـــال، أو العين والحال؛ فالكل لا يحتج به استقلالا.

تأليف وترجمة وابتكار

ومن أبـــرز حقوق الملكيـــة الفكرية التـــي تناولها الباحثون، ونصـــت عليها المواثيق الدوليـــة والاتفاقات والقوانين والنظم:

ـ حـــقُّ التأليف والنشر: تترتب عليه ـ كما أســـلفنا ـ مزايا أدبية عديدة أبرزها نسبة المؤلف ـ في جميع المجالات ـ إلى مُؤَلَّفِه وناشره، وكذلك حقٌّ مالي يعود عليهما، ويمتد هذا الحق إلى ورثة المؤلف، أو المؤلف والناشر ـ حســـب الأحوال ـ بعد الوفاة.

ـ حقُّ الترجمة: يُرتب حقا لشخص ثالث، بالإضافة إلى المؤلف والنـــاشر، هو «المترجم» الذي ينقل المؤلَّف من لغة إلى أخـــرى. ولا يخفى عِظَم ما يبذله المترجم من جهود في سبيل الوفاء بالترجمة كاملة دون نقصان، واضحة دون تحريف في الدلالات والمعاني.

ويتفرع هذا الحق إلى نوعـــين: الأول «مالي» والثاني «أدبي» ولا يلغي حقوق المؤلف الأصلي بأي حال، بل ربما يرتب له حقا جديدا عنـــد نقله إلى اللغات الأخرى، يتمثل في ضمان الالتـــزام الكامل بما جاء في مؤلفه الأصلي، دون زيادة عليه أو حذف منه.

ومن أبرز الذين تمســـكوا بهذا الحـــق المفكر الراحل «رجاء جارودي» صاحب كتاب «فلسطين أرض الرسالات الإلهية» الذي ترجمـــه الدكتور عبد الصبور شـــاهين، وصدرت ترجمته بالقاهرة أوائل عام ١٩٨٦.

تصـــدرت الترجمة مقدمة المترجِم الدكتور شـــاهين، ووقعت في نحو اثنتين وثلاثين صفحة من القطع المتوسط،، وحملت عبارة «ترجمهُ وعلّقَ عليه وقدمهُ وصنعَ فهارسه دكتور عبدالصبور شاهين» فأصرّ «جارودي» على فصل مقدمـــة المترجم عن كتابـــه تماما، وتمســـك بأن تكون «مطبوعة مستقلة» باعتبارها ليست جزءا من كتابه محل الترجمة، ولم تجد دار النشر حينئذ إلا الاستجابة لمطلبه أو ما اعتبره هو «حقه».

ـ حق الاقتباس: وهو نقـــل عن مُؤَلَّفٍ معين لأغراض «الاستشهاد» على صحة فكرة أو نفيها، أو «التوضيح» أو إثراء المؤلفات الجديدة بالمعلومات.

ومهما تتعددْ أشـــكال الاقتباس بـــأن يكون مباشرا ـ يعتمد على النقل الحـــرفي ـ أو غير مباشر ـ يعتمد على المعنـــى أو النقل الجزئي والحـــذف ـ يجب الحفاظ على دلالات النـــص المقتبس ومعانيه ومقاصده دون تلوين أو تحريف، ونسبته إلى صاحبه الأصلي.

ويلاحظُ تقييدُ بعـــض المؤلفين هذا الحق بالنص على عدم جواز نشر أي جزء من الكتاب، أو تخزينه، أو تسجيله بأي وسيلة، أو تصويره دون موافقة خطية من المؤلف.

- حـــقُّ الابتكار والاختراع: يضمن لصاحبه ســـلطة مباشرة على اختراعه أو ابتكاره، تشمل نسبته إليه وحده، ويُمنح بمقتضاه «براءة اخـــتراع» من الأجهزة المعنية في الدولة. ويقصدُ بالابتكار أو الاختراع استحداث جديد نافع ومفيد للناس والمجتمع لا يتنافى مع قيم الإسلام.

ـ الاسم التجاري والشِّعار: يُمَيِّزان المنتج الصناعي أو المحل التجاري عن غيره في أي مكان.

ـ العلامة التجارية: هي كل ما يميزُ منتجا سلعة كانت أو خدمة عن غيرها، وتشمل على وجه الخصوص الأسماء المتخذة شكلا مميزا، والإمضاءات، والكلمات، والحروف، والأرقام، والرسوم، والرموز، وعناوين المحال، والتمغات، والأختام، والتصاوير، والنقوش البارزة، ومجموعة الألوان التي تتخذ شكلا خاصا ومميزا.

فالعلامة التجارية والصناعية تعتبر وسيلة من وسائل المنافسة المشروعة بين التجار والمنتجين وأرباب الصناعات والخدمات بهدف جذب العملاء وجمهور المستهلكين إلى ما يفضلونه من سلع أو منتجات أو خدمات.

- الترخيص التجاري: تمنحـــه الجهات المعنية لفرد أو مجموعة، لاستيراد البضائع والمنتجات من الخارج، أو تصديرها، أو إقامة المنشآت التجارية أو الصناعية.

إيمان وتربية وضمير

وإذا كانت دول العالم قد ســـعت إلى تحقيق أكبر قدر ممكن من الحماية للحقوق الفكرية، باستحداث القوانين والنظم، وفرض العقوبات؛ فقد ربطت تعاليم الإســـلام هذه القضية بأمور مهمة، في مقدمتها الإيمان بالله تعالى، والتربية السليمة، وأداء الأمانة، وإيقاظ الضمير الإنساني.

والمتأمل في تاريخ الأمة الإســـلامية يجد الحرص على حماية «الملكية الفكرية» قائما منـــذ مطلع هذا التاريخ. ويرجع عدم ظهور هذه القضية بهذا الاصطلاح الشـــائع حاليـــا، وكذلك غيـــاب الضوابط الإجرائيـــة لحمايتها، والجزائية لردع وزجـــر المعتدين عليهـــا إلى أن الوازع الديني كان يفرض نفســـه على النفوس؛ فكان أقوى من أي مشروع زجري آخر. وما دفع أمم الغرب إلى الاهتمام بها، ووضع المواثيق والقوانين المنظمة لها إلا انتشار آفات السرقة والسطو والانتحال والاختلاق، وغيرها.

ولا شـــك في أن حرص المســـلمين قديما على حماية «الملكية الفكرية» له ما يدعمه ويؤكده من مبادئ ومناهج في مجالات البحث العلمي والتأليف والتدوين.

❖ الإسلام سبق جميع المواثيق في صيانة حقوق المبدعين

❖ تجريم الاعتداء على حقوق المؤلف بالتقليد أو السرقة أو الغش

ومن أبرزها «الأمانـــة العلمية» التي قامت على توثيق النصوص بالإسناد، ويُعدّ «علم مصطلح الحديث» أساسا فريدا غير مســـبوق في هذا المجال، بالإضافة إلى «تخريج النصوص» بنسبتها إلى قائليها.

ويضاف إلى ذلك تحريم الكـــذب والتدليس والسرقة والانتحال، حيث تحذر نصوص القرآن الكريم والســـنة النبوية الشريفـــة من الكذابين والســـارقين والمنتحلين. وكم مـــن كتاب أُلِّـــف في الوضع والوضّاعـــين والكذب والكذّابين؛ لكشفهم والتحذير منهم، وطرحهم من حساب مجتمعاتهم.

ولا تزال آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية تصدع بهذه الحقيقة، مؤكدة أن حقـــوق الناس الأدبية والمالية وملكياتهم مصونة، وداعيـــة إلى احترامها وعدم الاعتداء عليها، ومن ذلك قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُـــمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُـــونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ».

وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْـــلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ». كما قال صلى الله عليه وسلَم: «مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا».

تشجيع البحث العلمي

وإذا كانت أغلبية البحوث في مجال الملكية الفكرية قد عُنيت ببيان أهميتها وضرورة حماية حقوقها التي تعود

بالنفع الأدبي والمالي على المؤلفين والمبتكرين والمخترعين؛ فيجب أن يكـــون ذلك مرتبطًا في الوقت نفســـه بخدمة المجتمعات، وتقدم الدول ورقيها ونهضتها. ويتحقق ذلك بوسائل عديدة أبرزها تشجيع البحث العلمي.

ولا تخفى عناية الإســـلام بالعلـــم والبحث العلمي، فأوّل ما نزل من القرآن الكريم دعوة إلى القراءة والبحث والتعلم في شـــتى المجالات، قال تعالى: «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنسَـــانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ»... (سورة العلق: ١-٥).

ويُقسم ربّ العزة سبحانه وتعالى في صدر ثانية سور القرآن الكريم نزولاً على الرســـول صلى الله عليه وســـلم بالقلـــم الذي هو أداة الكتابة والتدوين والتســـجيل، كما يُقســـم بالكتابة التي هي نتائج البحث وآثار العلم، قال تعالى: «ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ»... (سورة القلم: ١).

ولأهمية العلـــم ومكانته ودوره في الرقـــي بالحياة وتطويرها يخاطب رب العزة الرسول صلى الله عليه وسلم قائلا: «وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا»... (سورة طه: ١١٤).

وفي ســـبيل الحث على تحصيل العلـــوم والتميز فيها يقول الله تعالى: «قُلْ هَلْ يَسْـــتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ»... (سورة الزمر: ٩). ويقول تعالى أيضا: «يَرْفَـــعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَـــاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ» (ســـورة المجادلة: ١١).

وحرصت آيات القرآن الكريم على الدعوة إلى التفكر في الكون، والتأمل في جميع المخلوقات؛ سعيا لاكتشاف المزيد من الحقائق والعلوم النافعة في شتى المجالات، قال تعالى: «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّـــمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُـــرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ»... (سورة آل عمران: ١٩٠ و١٩١).

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: «مَنْ يُرِدْ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»... (متفق عليه).

دعم مسيرة التنمية

ولا يجوز بأي حال أن تكـــون حقوق الملكية الفكرية حائلا دون إفادة المجتمع من كل جديد نافع يتوصل إليه الباحثون والمبتكرون والمخترعون، بل يجب أن تتحوّل إلى دوافع جادة للتقدم والتحضر، ودعم مســـيرة التنمية في شتى المجالات والميادين من خلال ربط العلم بالعمل.

إن حق الفرد في التملك منبثق عن تخصيص الله تعالى له بهذه الملكية بســـبب مشروع، واللـــه تعالى الذي ملّكه أمَرَهُ أن يراعي حق عباده، أي المجتمع، وأن يتحمل بنسبة قدرته بعض تكاليف الآخرين وحاجاتهم، ســـواء كانوا أسرته وأقاربه، أو أهل بلده، أو المجتمع الكبير الذي ينتمي إليه.

فالملكية الفردية حق فردي يجب أن تراعى فيه مصلحة المجتمع، وحسن تصرف الفرد فيما استخلفه الله فيه من ملكه، ومن ثم تجب مراعاة حق الغير.

ومن شـــأن نظام الملكيـــة الفكريـــة، إذا كان فعالا ومنصفا، أن يســـاعد جميع البلدان على الاســـتفادة من «الملكية الفكرية» باعتبارها أداة قوية تســـهم في تحقيق التنمية الاقتصادية والرخاء الاجتماعي والثقافي. ويساعد نظام الملكية الفكرية على التوفيـــق بين مصالح المبتكر ومصالح المجتمع بضمان محيط يســـتطيع فيه النشاط الإبداعـــي والابتكاري أن يزدهر بمـــا يعود بالفائدة على الجميع.

وترتكز مسيرة تنمية المجتمع على عدة مقومات مهمة في مقدمتها الاستفادة من التقدم العلمي في شتى الميادين، بعد أن قفز العالم قفزات واسعة نحو الأمام بسبب التقدم العلمي والتوسع في استخدام التكنولوجيا.

ويضاف إلى ذلك إتقان العمل باعتباره عنصرا مهما في بناء المجتمع، ورقيّ الدولة، ويشارك مع غيره من العناصر الإنتاجية لتحقيق عملية التنمية، وكذلك العمل الدائم على تحسين مستوى الأفراد صحيا واجتماعيا.

رمضان في شبه القارة الهندية

د. محمد منصور الهدوي
جمهورية الهند

لرمضان في الهند أجواء ذات نكهة خاصة، حيث تبدأ مظاهر الاستعداد لاستقبال سيّد الشهور قبل وقت كاف، تحديدًا في رجب وشعبان. وتقوم الأمهات والجدات بتنظيف البيوت، وتنظيف كل ما بالدار من الأدوات المنزلية، بدقة وعناية كبيرة، ويحددن لهذه العملية الرمضانية يوما معينا، حتى يشترك فيها الأطفال والرجال والنساء، وهذه العادة تختلف دقتها وعنايتها بحسب اختلاف المناطق، ولا سيما في المناطق التي تتميز بأغلبية مسلمة، مثل بنغال وأوتار برديش وكيرالا وآسام، ولا يستثنى منها الكوخ والقصر، ولا يمنعها الغنى والفقر.

ثم يلي ذلك تجهيز أدوات الأطعمة ولوازمها من الدقيق والقمح والأرز، إذ يحرص الكل على أن تكون في بيته أيام رمضان أشياء جيدة وجديدة وطيبة، احتراما وتوقيرا لهذا الشهر العظيم، وهذه العمليات كلها تجري تحت إدارة النساء. أما الرجال والشباب فمهمتهم وخدمتهم تتركز في ترميم المساجد والمدارس، وتنظيفها وفرشها، وفي تنظيم الدروس الدينية والمحاضرات القرآنية والمسابقات. تجد المسلمين في الهند يقومون بتحضير المستلزمات الرمضانية وبدء الزيارات الأسرية، ترحابًا واحتفاءً بهذا الشهر الكريم. وتنتشر الاحتفالات وإضاءات المساجد والمآذن في الشوارع التي يكثر فيها المسلمون، مثل مومباي وحيدر أباد، ودلهي، وكشمير وولكاتاو وكيرلا، وتقوم المحلات التجارية والمطاعم بوضع الزينة، خاصة في المناطق ذات الكثافة السكانية العالية.

ويلتزم المسلمون الهنود في رمضان بأداء الصلاة في أوقاتها، كما أن هناك الكثير من المحاضرات والدروس

الدينية التي تلقى في المساجد بعد كل صلاة، كما يتسابقون على أداء صـــلاة التراويح، ويقبل الكثير من الهنود على ختم القرآن الكريم في شهر رمضان وخاصة السيدات.

ثبوت رؤية الهلال

ونظرًا لانتشار المســـلمين في أماكن متفرقة في هذا البلد الشاســـع والواســـع، فإن ثبوت رمضان يختلف من مكان لآخر، إضافـــة إلى اختلاف الناس هنـــاك في اتباع المذاهب الفقهية، وما يترتب عليه من اعتبار اختلاف المطالع، أو عدم اعتبارها. وعلى العموم فـــإن هناك هيئة شرعية خاصة من العلماء تتولى متابعة أمـــر ثبوت هلال رمضان، وتعتمد في ذلك الرؤية الشرعية، وحالما يثبت لديها دخول شهر رمضان، تُصدر بيانًا عامًا، ويتم إعلانه وتوزيعه على المسلمين. ومع ثبوت شـــهر رمضان تعم الفرحة جميع المســـلمين هناك، خاصة الأطفال منهم، ويتبادلون عبارات التهاني والفرح، مثل قولهـــم: (رمضان مبارك)، ونحـــو ذلك من العبارات المعبرة عن الفرحة والسرور بقدوم هذا الشهر.

عادات خاصة

وللهند طابع خاص في العادات والســـنن التي تقام من قبل مسلميها خلال شهر رمضان، إذ يحافظ غالبية المسلمين هناك على سُنَّة الســـحور. ومن معتاد طعامهم فيه (الأرز) و(الخبز)، وهو غذاؤهم الرئيـــس، ويطبخ إلى جانب أنواع أخرى من الطعام، إضافة إلى الخبز والإيدامات. ومن عادات بعض المســـلمين هناك، توزيع الحلـــوى والمرطبات وثمار جوز الهند عـــلى المصلين، عقب الانتهاء من صلاة التراويح، وأحياناً يوزع التمر وسكر النبات، والمشروب الهندي المسمى (سمية)، وهو يشبه الشعيرية باللبن عند أهل مصر، وأغلب أنواع الحلوى هناك تُحضَّر من مادة الشعيرية.

ومن المناظـــر المألوفة أن ترى الأطفال وهم يشـــترون فوانيس رمضـــان، وتراهم يتجولون في الأحياء الشـــعبية فرحين مسرورين بمـــا أنعم الله عليهم مـــن خيرات هذا الشـــهر، وهم ينشـــدون الأغاني الدينيـــة بلغتهم الهندية ولهجاتهم المحلية. وأغلب المســـلمين في الهند يحافظون على لبس (الطاقية) خاصة في هذا الشـــهر، ويرتادون المساجد للصلاة وتلاوة القرآن، إذ يجتهد كل مســـلم هناك في إتمام ختمة واحدة على الأقل من القرآن خلال هذا الشـــهر، وهم في أغلب المساجد يصلون صلاة التراويح عشرين ركعة، وفي بعض المساجد يكتفون بصلاة ثماني ركعات، وهم في العادة يختمون القرآن خلال هذا الشهر.

المسحراتي أو السحور

قد يظن البعض أن فكرة المسحراتي وسيره في الشوارع هي في الدول العربية فقط، فلا تزال شخصية «المسحراتي» تؤدي دورها على أتم وجه عند مسلمي الهند؛ حيث يطوف كل واحد منهم عـــلى الحي الذي وكِّل به، ليوقظ الناس قبل أن يدركهم أذان الفجر، ومع نهاية شـــهر رمضان تُقدم له الهدايا والأعطيات وما تجود به أيـــدي الناس، لقاء جهده الذي بذله. ويطلق على المســـحراتي في اللغة الهندية اســـم «سهري»، ويحافظ الهنود على سنة السحور، ويتكون من الأرز والخبز، إلى جانب أنواع أخرى من الطعام.

مائدة الإفطار الهندية

يكون الإفطار في الهند على مرحلتين رئيستين، بعد كسر الصيام بالتمر واللبن وبعـــض المشروبات الخفيفة، فالكل يذهب إلى المســـجد لأداء الصلاة، وإن كان البعض يُفضل أخذ هذه الأشـــياء من منزله إلى المسجد ويكسر الصيام مع المصلين. ويتناول الجميع هذه الأشـــياء بعد الأذان مباشرة، ثم تقام الصلاة، وبعدها يذهب كل حســـب وجهته لتناول الإفطار. هذا الإفطار يعتبر الوجبة الخفيفة الأولى؛ وتشـــمل المأكولات الخفيفة كحمص الشـــام والسمبوســـة المحشية بالخضراوات. وبالنسبة لما يتناوله المرء عند الإفطار، يختلف الأمر من منطقة لأخرى، فالإفطار في ولاية كيرالا يختلف عن الإفطار في ولاية كشمير، وإفطار مسلمي حيدر أباد والبنغال يختلف عنه في الكجرات، أما الوجبة الرئيســـة فتكون بعد صلاة التراويح.

ويقوم بعض الهنود بعمـــل موائد الإفطار الجماعي في

المســـاجد أحيانًا، وفي القاعات أحيانا أخرى حســـب العدد والتجهيـــزات، ويجلس فيها المســـافرون وأبناء الســـبيل والفقراء ومن لم يستطيعوا الوصول إلى منازلهم قبل موعد الإفطار، وهذا تعبير عـــن روح التعاون والإخاء بين معظم المسلمين في الهند. ومن أبرز مظاهر رمضان في الهند، تجمع الناس في جماعات داخل المساجد، ويقوم كل فرد بإحضار ما يستطيع إحضاره من الأكل والشرب والفواكه والحلويات، ويشتركون في تناول الإفطار معا على مائدة واحدة.

أطباق المائدة الرمضانية

وأما من جانب الأطعمة الرمضانية، فهناك قائمة طويلة تتضمن أقداح القهوة والشاي والهريس والبرياني والغنجي، كما تقدم أطباق الحلويـــات الطازجة والعصائر الممتزجة بلباب البرتقال والتفـــاح والتمر والجوز، فالأطعمة الهندية تمتاز بتوابلها الحـــارة التي هي ألوان من الفلفل والكركم، والتمر الهندي، والقرفـــة وغيرها التي تذهب بك إلى أطعمة حرفية. وهناك بون شاســـع في اختيار الأطعمة بين شمال الهند وجنوبها، فيختار شمال الهند طعامًا يليق بجوه الذي يتردد بين الحار والبـــارد، وأما جنوب الهند ولاعتدال الجو ولتشوق أهله نحو التوابل والحلويات، يتكثف استخدامها إلى حد كبير، ولا ســـيما في منطقة مليبار التي هي شـــمال كيرالا. وتختـــص مليبار بخصائص عدة مهمة، إذ مناطقها معروفة بطهي الحلويات واللحـــوم، وبتجهيز أطعمة من الأرز بشـــتى الألوان والعناوين، وبشـــتى الأذواق. ونساء مليبار لهن ملكة راسخة في تدبير المطاعم الرمضانية، وليس للرجال فيها أي دور يذكر.

وأهم الأطعمة التي يحـــرص الهنود على تناولها في هذا الشـــهر الغنجي، وهي شوربة تســـاعد على منحهم القوة والتغلب على العطش. وتُصنع هذه الشوربة من دقيق الأرز وبعض اللحم والبهارات الهنديـــة اللذيذة، ويتم طهيها في الماء، ويتناولونها على مائدة الإفطار، ويرسلون بعضًا منها إلى المســـاجد، كما يهتمون بأكل أنواع مختلفة من الفواكه في شـــهر رمضان، مثل البرتقال والعنـــب والتفاح والقمر، كما يشربون الهريـــر، وهو الشراب المفضل عندهم، خاصة في شـــهر رمضان في الإفطار، ويتم طهيه باللوز والســـكر والحليب.

وتشتمل مائدة الإفطار على «الأرز» وطعام يسمى «دهي بهدي»، يشـــبه طعام «الفلافل مع الزبـــادي» المكونة من الفلفل والجبن، و«العدس المســـلوق». وهناك طعام يطلق عليه اسم «حليم»، يتألف من اللحم مطهيًا مع حبات القمح لمدة لا تقل عن ثماني ســـاعات، و«الهريس» الذي يتكون

من القمح واللحم والمرق. ويعتبر شراب «الهرير» المشروب المحلي لشـــهر رمضان في الهند، إذ يفطـــر عليه الصائمون يوميًا، وهو عبارة عن مزيج من الحليب والسكر واللوز، وأما المشروبات فيتصدرها عصير الليمون واللبن المزوج بالماء، والحليـــب. ولا تغيب الفواكه بأنواعهـــا المختلفة عن مائدة الإفطار الهندية طوال أيام الشهر الفضيل، وبخاصة التمر والبرتقال والعنب. وتصل إلى الهند منتجات تمر فاخرة من المملكة العربية الســـعودية، ويسعى المستهلكون للتأكد من أن العلامة التجارية وارد المملكة، لأنها أفضل أنواع التمور التي تحظى بطلب واســـع داخل الهنـــد، ويفضل غالبية المســـلمين تناول هذه التمور رفيعة الجودة لما تتميز به من مذاق رائع وقيمة غذائية مرتفعة تعوض ما فقده الجســـم بعد يوم طويل من الصيام.

غير المســـلمين في الهنـــد يوفون لهذا الشـــهر حرمته، ويراعون مشاعر المسلمين فيه، وربما اغتنموا هذه المناسبة ليباركوا لهم قدوم هذا الشهر الكريم، أو لدعوتهم إلى مائدة إفطار، إذ يشـــارك الناس من الطوائف الأخرى المسلمين في ســـماحة ويسر، لا يمنعهم الحاجب الديني عن الاشـــتراك في هذا الموسم، يشـــتركون بما لديهم مع إخوانهم المسلمين مباركين عليهم، مرحبين بهم.

الزكاة والصدقات والتسهيلات

ومـــن العادات الســـائدة في الهند، كثير من المســـلمين يختـــارون رمضان موعـــداً لأداء الـــزكاة، ويكثرون من الصدقات فيه، وأغلبهم يوزع زكاته بنفسه في حين يوزعها بعضهم عن طريـــق اللجان والهيئات، كمـــا أن هناك من يدفعونها لمرتـــادي منازلهم، ولا دخل للحكومة في الزكوات ولا رقابة لها عليها.

وزكاة الفطر تؤدى على الطريقة نفســـها أيضاً، وتنظم اللجان الدينية، وبعض الأحزاب السياسية لها برامج إغاثية في رمضان توزع فيها الملابس والمواد الغذائية والآلات المهنية والكتب الدينية والمدرسية للمساكين والأرامل والفقراء.

ومن عادات المســـلمين الهنود أيضاً، التبرع بمصليات حريرية وصوفية فاخرة للمساجد مع قدوم رمضان، وعادةً ما تُســـتورد هذه المصليات من الســـعودية وتركيا وإيران وبلجيكا.

أيام العشر الأواخر وليلة القدر

يقضي المســـلمون العشر الأواخر في الاعتكاف والصلاة وقيام الليل في المساجد. وليلة القدر لها قيمة كبرى لديهم، ويعتبرونها ليلة الســـابع والعشرين عـــلى الأغلب، ويكون الاستعداد لهذه الليلة كما لو أنها ليلة العيد، حيث يرتدون الملابس الجديدة والجميلة، ويقيمون الصلوات والعبادات، ويقرؤون القرآن ويوزعون الحلوى على المصلين في فرحة عارمة. ومع صباح يوم السابع والعشرين يكون الموعد مع زيارة القبور وقراءة القرآن للموتى بشكل جماعي.

جمعة الوداع: احتشاد شعبي خاص

والجمعة الأخيرة من رمضان تُسمى عند مسلمي الهند (جمعة الوداع)، ويعد المسلمون هناك هذه الجمعة مناسبة عظيمة للاجتماع والالتقاء، فترى الجميع وقد حزم أمتعته، وشد رحاله إلى أكبر مسجد.

في مدينة حيدر آباد يســـمى المسجد الكبير عندهم (مكة مسجد)، وهم يروون في سبب هذه التسمية قصة حاصلها: أن ملكًا مسلمًا قبل خمســـمائة عام قصد مكة للحج، وفي رحلة عودته أحضر معه حجرًا من مكة، وأمر بوضعه ضمن بناء هذا المسجد، فأطلق الناس عليه هذا الاسم لهذا السبب. وبعيدًا عن هذه القصة، تجتمع في هذا المسجد أعداد غفيرة من المســـلمين في (الجمعة الأخـــيرة)، حيث تصل صفوف المسلمين وقت أداء الصلوات قرابة ثلاثة كيلو مترات من كل جوانب المسجد، وهكذا تنتهي أجواء رمضان في الهند بجمعة الوداع، وهي الجمعة الأخيرة من شهر رمضان.

هذا غيض من فيض حول مظاهر هندية تليدة في شهر الصـــوم، حيث الأجواء الروحية، والمســـاجد المعمورة التي تحفهـــا أضواء القناديل، والموائد المترعـــة بألوان الأطعمة، أجـــواء يغمرها البـــشر في أرجاء «ماهاراشـــترا» و«أوتار براديش» و«كيرالا» و«حيدر أباد».

ذاكرة مهاد

الارتقاء شوقًا إلى سيدة المدائن

محمد مصطفى ناصيف

عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية

يكاد العيد يعانقني وأنا بعيد عن الحبيبة «مكة المكرمة» إثر حياة متواصلة دامت ســـتة عشر عاماً دونما انقطـــاع.. بعد أن قررت الخروج من أزقة اللامبالاة والقهـــر .. لأني كرهت الجلوس في الانتظار، ولم أزل بعد مفارقتها ضائعاً في شـــوارع الحياة التي يتململ فيها الوعد .. أشعر وكأنما تحاصرني الجدران وتدنو منّي، فأحاول الهرب راحلاً مع الفراشـــات عبر الحدود، ضمن عاصفة توشـــك على الرحيل.. فكانت هذه الزفرات الحرّى:

إلى المكرمة التي لا يفارقني الشوق والحنين إليها ما حييت.. فإليك : مكتـــي .. قبلتي .. أيتها المضاءة دوماً بالنور، المغتسلة دائماً بالطّهر، المتشحة أبداً بالإيمان.. هل لعينيك عنوان جديد أرســـل إليه روحي وكلماتي المبعثرة؛ فقد نثرت في الفضاء شـــوقي وألصقت قلبي طابع بريد ليصل إليك وأنت بعيدة أيتها القريبة أبداً، (لأن جواز سفري الخاص لا يحمل إلا تأشيرة واحدة، هي إليك وحدك).

في الطريق تحدثك «المكرمة» عـــن تاريخها الذي ولدت معه؛ لأنه الصوت الإيماني الذي صدح.. ليسمع العالم بداية التنزيل الربانـــي الخالد، ولتكون نقطة التقاء الأرض بالســـماء، فتبدو لـــك البيوت القديمة بحجارتها الجميلة التي تبتسم لك.. حيث كان عهدها الأجداد، فتقـــاد إلى أماكن يغيض بها الحلم، ويزدحم العقل أمامها بآلاف الأشياء المتوحدة.. المسوّرة دروبها بالقبل.. المكتظة بالنور، تسلكها القلوب الواهية. تحت أعمدة الضياء والتشابك الأزلي بين النور والعتمة.. حيث تقفز حركة السكون من شبابيكها العتيقة، وتجد كل باب مـــن أبواب بيوتها منتصبـــاً بالحب والإخلاص.. ملتصقاً بفيض الشعاع ... يرشدك إلى درب الذكريات الإيمانيـــة التي هي صور بصمـــات وكلمات لتجذبك أمكنـــة صامتة أيضاً مخبرة عن مـــاضٍ مليء بالنور والضياء لرســـول عظيم، وصحبة أجلاء كانوا هنا ثم غفوا إلى بطن الزمن بعد أن طبعوا ضياءهم في قلوبنا وبصائرنا.

كل هذه الصور تســـوّرك بكتيبة من الاندهاشات الملوّنة .. عن رجال نزعوا كف الظلمة، وزرعوا الدعوة لتبقى أشـــجارها مثمرة وظلالها مقمـــرة.. تتهجّى أبجديتها من حروف الشهادتين.

مكرّمتي

إنك تنمين محتفظـــة بلمحات مضيئة واضحة على الدوام، حملتِ دفقة نورانية مدنية في روحك.. تبثّينها للعالم أجمع لأنك الحاضر دائماً والمستقبل منك وفيك أيضاً، وذكراك عندي ليســـت كذكرى الأمس إقفال على الغياب.. بل تلمّس وشم على الفؤاد والروح اجترّه عند كل صلاة وذكر ودعاء.

إن اللـــون فيك ناصع يضفي على القباب شـــحنة ارتعاشية تتزيّن بها الأبنية التي تترامى وتتهادى حول قدسية الكعبة المشرفة.. كأنما تحاط بذراع أمّ حانية.. ليســـتقي منها المســـلم لمحات رائعة لا يتوقعها إلا في أقدس العواصم، وأحب بلاد الله إليه.

مشرّفتي

إن الوقت لديك يحتشـــد خارج سور الزمن.. حيث يضيع في سرحات إيمانية مملوءة بالصفاء والضياء... في مســـيرة طويلة الانتهاء، أستريح إن تعبت على حافة العمر لأكمل بعدها المشـــوار.. فإن أرهقني النوم قليلاً فيبقى وجهي وروحي يتابعان إليك المسير..

يا أجمل لوحة فنية حفرت في الذاكرة، ووشمت على

القلب، وتستريح تحت الأهداب إليك... يا منارة دربي، ومرفأ رسوّي؛ فبدونك أعيش على هامش الحياة لحظات زائفة ـ لن أحسبها من عمري - لذا فإني أكتب إليك بخط مميّز كأني أرسم ملامحك التي أستشف نقلها من قلبي إلى عنوانك الذي لا يعرفه البريد.. لكن قلبي يعرفه، لأني ما زلت استنشق رائحة أمسك الطيبة.

إن الكتابة عنك أيتها المكرّمة المشرّفة المطهرة هي احتضان للحضارة العربية الإسلامية، حيث نشأتك خاصة، وتطورّك مميّز، فأنت مدينة ضد الكتابة لأن مولد حرف نور العلم الإيماني انبثق منك ليضيء حضارات العالم .. يحتضنك المسلمون بالاتجاه والتوجّه لأنك عاصمة العواصم التي ترتكز فيها وحولها الحضارات.

لقد أثبتت نظريات العلماء وإسقاطات آلاتهم التصويرية أن هذا البلد المحرّم وكعبته المشرّفة التي أمرنا أن نولّي وجوهنا شطرها في معراج الصلاة هي مركز العالم كله. وهي دليل إضافي آخر على صحة وسلامة ديننا حتى من الناحية الجغرافية أيضا حسبما يراه أصحاب النظريات الحديثة، بينما نحن المسلمين على قول الصديق أبي بكر «رضي الله عنه» «إن كان قاله فهو الحق وقد صدق»، وإن القول الأكيد عندنا ما قاله محمّد قدوتنا وقائدنا ورسول الإنسانية ومعلمها الخير، صلى الله عليه وسلم.

عندما وصلت إلى الكعبة المشرّفة للمرة الأولى حاجّاً رسمت بجسدي حدوداً بين رحلتين، فقد جلبت معي أوزاري وتركتها عند عتبة الباب، وارتديت جلباب التوبة ورحمة ربي لأطوي صفحة الأمس، فقد أيقنت أن ملخص حياتي هذه الخطوات وكيف يجب أن تكون .. مع الحفاظ على ضيائها وصفائها الذي سيتحقق بالتوبة التي جئت بها .. لأنهي مرحلة وأغادرها؛ لأبدأ مرحلة أخرى بفتح صفحة جديدة بعد ما وضحت لي معالم الطريق بينهما، مضيئاً بهذه الشواهد ظلمات حياتي، وما رسب في الزوايا، وتراكم على الجدران.

ستصلك رسالتي هذه قبل أن أتمكن من الوصول إليك .. لأن مسيرة حبّي لك شديدة الانبهار بالإيمان وألوانه المضيئة، لذا فإني أحاول ترتيب موعد للرحيل إليك؛ فأطلق كل صباح فراشة بجناحي طائر.. لأحيا لحظات الزمان في التذكر، حيث أشواقي تظلّ تطاردني، وقلبي يظلّ يخفق حتى ألقاك.. لأنك الشراع الذي يلهج به القلب، بحيث يمتد بيني وبينك هذا الخفقان حتى أسدل عليه ضلوعي وكامل جسدي مع

أنك تســـكنينني - إذ لا فراق لحبيب يسكن القلب - فكلماتي عنك كالضحى لا أحتاج لتطويعها وإضاءتها لأنهـــا تنبع من العقيدة الراســـخة في جذوري، حيث تطير روحي إليـــك بشراع الطّهر عند كل صلاة، أيتها الطّاهـــرة المطّهرة لتصبّ في منهـــل الإيمان وموطن الرسالات والحضارات.

كم كنت أختبئ تحت أســـتار الكعبة لأستنشق ذاك العبق الذي غمرني في الطواف والســـعي وأثناء الرّمل بين الميلين الأخضرين، وعند صعـــود الصفا، وإغفاءة المروة، وتضلّع زمزم وإلصاق الجســـد بالملتزم، وقبلة ترتعش معها جميع جوارحي وفؤادي عند ملامســـة الحجر الأسود وتقبيله، ونسمات إيمانية هادئة وادعة معطّرة مرهفة عند ســـماع أصوات الأئمة: الحذيفي والشريم والســـديس أثناء ترتيلهـــم آيات عطرات من كتاب ربي يجمّلونها بأصواتهم.. لأحلق في جو إيماني ماتع أشعر وكأنما القرآن يتنّزل لتوّه على محمد، صلى الله عليه وسلم.

وهكذا تبقـــى «المكرّمة» لأنها الأنمـــوذج الأكمل والأشـــمل والأجمل لكل مدينة.. حيث يعود المؤمنون ليتشـــبّهوا بأئمتها وقارئيها ومؤذنيهـــا ثم يفدوا بما تعلّموا إلى بلادهم.

إن الاختراق الكوني للرســـالة الســـماوية الخالدة التي أضاءت البشرية كلها، ولا خلود لرســـالة سواها.. جاء من بوابة مضيئة لبيت صغير فيك: ولادةً وطفولةً وشباباً وبعثةً لرسول البشرية وقائدها، صلى الله عليه وســـلم، ثم ليغادرك مهاجراً إلى توأمك... بعد أن جعل فيك التأسيس والإحياء وفي توأمك الدولة والحياة.

فوق طبيعتك نقشـــت الســـيرة العطرة للرسول العظيـــم والنبـــي الكريم، عليه أفضـــل الصلاة وأتم التسليم، والسلف الصالح - ذلك الجيل القرآني الفريد - تتمثّله الروح والنفس ارتياحاً وشوقاً وسمواً.. لأني لا أجد فيك سوى الصعود والارتقاء إلى السماء، الذي يبدأ بهمسة إيمانية يردّد صداها الكون على سلالم آمنة مما ارتضاه الله ورسوله.

إن «مكـــة المكرمة» لا يعرفها جيـــداً إلا من يملك الإحســـاس المرهف بوعي المـــكان؛ يتذوقه من أتاها مرة.. فكيف بمن عايشها ستة عشر عاماً عاشقاً، ففي رئتها شبّ اعتقادي، ورأيت وجه مرآة نفسي، ولمست الخيال غيمـــاً ماطراً فغاصت تربة الإيمان في فؤادي، وتحقـــق الحلم الذي كان يروي غياثاً من نشـــيدي؛ فكبرت فيها لألِلم الندى من حرير صباحها وأجتذل ليلي والناس نيام لأحطّ رحلي في واحة نداها. أستنشق عبقها مع كل نفـــس.. والخروج جدّ صعب من هذه الذكرى الماتعة.

إنك في المكرّمة لا تســـمع صخبـــاً على عكس مدن العالم... بل تصل إلى أذنك ترنيمات إيمانية ووشوشات مبتسمة تحمل مناجاة خاصة تدعوك إلى لحظة مراجعة النفس.. مدموعة من أمل موشـــوم بمعصية، وذنوب تتوضأ هنـــا بدموع الندم والمغفرة .. ممزوجة بكلمات من أريج التوبة، فالمكرّمة مدينة لا يعيش فيها الضجيج لأنه لا يســـتطيع أحد أن يغفل الكلمات التكبيرية التي تظلّ على الـــدوام تنطلق من حناجـــر مؤمنة صادقة متوجّهة إلى رب الكعبة والسماء.

إنك عندما تجلس مع نفسك في استراحة خاصة في رياض الحـــرم، وتوجه ناظرك نحو الكعبة المشرفة... يعبر أجفانك حلم كل مســـلم، وشعور يختلج مداخل قلبك وفـــؤادك، وإذا ما التفتّ إلى الأعلى قليلا .. تراءت لك صور لم يسبق لك مشـــاهدتها: صور تنحني إلى الأعلى على غرار صقور الســـماء - معلنة أن العبودية لله الواحد الأحد، وهي بهذا تضفي جمالاً إضافياً على روعة الطراز الفريد لهذا البناء المشرّف الذي لا يضاهى مطلقاً ..

(زاده اللـــه تعظيماً وتشريفاً - ومن عظّمه وشرّفه - وأنه من الإنصاف أن يشكر القائمون عليه، فجزاهم الله

خيراً).

كمـــا أن الليل في المكرمة - حيـــث لا ليل - لا يقدم إليهـــا لينام .. بل ليبثّ نوراً وضياء دائمين، لأنها تمنح العالم بطاقة عائلة الكون الإنساني الإيمان، إذ لا تجد لها مثيلا، فلا متجبّرين في مدينة الإيمان والنور، وكذلك لا مكان للقاســـية قلوبهم، الذين أصبح الحنين لديهم يحتاج إلى صيانة.

لم أعرف أحداً زارك أيتها المدينة المطلّة على الكون بجلال الإيمان منذ بداية الزمان ولم يحن رأسه إكراماً واحتراماً وإجـــلالاً وتعظيماً كما تنحني أحلامه أيضاً، حيث يلامس ضياؤك وطهـــرك روحَه وفؤادَه وبصَره ولم أعهد وطناً مسكوناً بالإسلام والحرية والأمن قبلك.

أدعك الآن تغفين على شـــفا فجـــر إيماني مضاء بالتوحيد والتيه والضياء، لتســـتيقظي مع بزوغ أول خيوط الفجر على نغمات يشدو بها مؤذن حرمك بجملة دائمة التجدّد كذكراك أيتها المكرّمة المطهّرة المشرّفة.. يا أم القرى، وعاصمة الدنيا، ولو كان للآخرة عاصمة لما كانت ســـواك. لأني ما رأيت سماء أقرب إلى الأرض من سمائك يا «عاصمة الإيمان».

وهكذا أنت أيتها المشرفة على مرّ التاريخ والأزمان، (ومن يريد رؤية التاريخ يمشي عـــلى قدميه فليذهب إليك).

وهكذا ستبقين درة تاريخية، وزهرة دائمة التفتّح على ظهر الأرض وسيّدة مدن الدنيا، وغرّة أماكنها.

مدينة اســـتحقت أن تكون محجّـــاً للعرب قبل أن تشرف برسالة الســـماء، وليست هناك مدينة تستحق لقبها إلا أنت يا «سيدة المدائن»، فخصّك الله بوضع أول بيوته ليعبد فيك..

لو لم تكن خير البقاع جميعها
ما كان بيت الله فوق ترابها

لينطلـــق الإيمان من «دار النـــدوة» للعالم أجمع، فأوجدك بواد غير ذي زرع لتجبى إليك ثمرات كل شيء.

لذا ستظلّين المدينة التي لا تدين بلقاحها لغير الله، وسيظل الماضي والمستقبل يتعايشان فيك إلى الأبد.

إني لا أملّ العودة إليك لأســـتعيد مـــذاق الإيمان وأتلمّس ضياءك المنثـــور في كل زاوية وحجر وأرض وسماء، وأستمع إلى نشيدك الشجي الذي صاغه رسول البشرية ومعلمها الخير، صلى الله عليه وســـلم، وحمله بعده صحابته الكرام - جيل القدوة.

إني إليك عائد.. إلى جنة تسع خوفي، إلى رحمة تغمر رجائي، تحقق ثقتي بربي، وخوفي من ذنبي.

عندما ودعتك مجبراً كانت أعضائي تهجرني إليك .. فرحلـــت وتركت روحي عنـــدك .. إذ جعلوا وقتي ينضب قبل أوانه مـــن حبّك، وبقيت بعدك للذكريات الموجعة.. فتغســـلين وجهي كل صبـــاح، وتكحلين عيوني كل مســـاء، فقد أصبح من الصعب عندي أن أجد فرقاً بينك وبين الجنـــة، فأنت جنة الدنيا وفيك نعيمها ومنك ســـعادتها، وشعوري أنك مسقط قلبي ورأسي وقلمي وأتمنى أن يكون مسقط جسدي أيضاً في معلاتك (مقبرة قريبة من الحرم يســـميها أخواننا الإندونيســـيون «جنة المعلاة»)، فبعدي عنك يجعلني مغموراً بالأشـــواق واقفاً على حافـــة البكاء.. لأني أحملك في فؤادي أينما رحلت، وأنّى حطّت بي الغربة، أو تقاذفتنـــي رياح التشرّد، حيث ينتابني شـــعور بأنك قراري واســـتقراري؛ فروحي تطير إليك حاملة هواجسي المتكسرة .. أقدّمها عـــلى آنية من الأقحوان الفريد تســـترحم رب هذا البيـــت المعظّم قرب اللقاء والعناق.. عندها يكـــون لي ميلاد جديد وفرح جديد، وتلد حياتي من جديد.

متمنياً أن تكون أيامي القادمة معك سعيدة وذات بسمات طويلة - إن شاء الله- فلا حرمت منك، وأنتظر اللقاء القريب المرتقب. إذ لا تطيب رحلة العمر إلا معك وفي شعائرك ومقدساتك أيتها المشرّفة المقدّسة.

الشيخ هاني مستو إمام وخطيب مسجد السنة في بلجيكا رئيس جمعية أئمة المجتمع البلجيكي:

الرابطة تقوم بجهود جليلة لخدمة الإسلام والمسلمين من خلال الانفتاح على جميع البلدان والمجتمعات

حوار: توفيق محمد نصر الله

ضيفنا هو الشـــيخ هاني مستو، إمام وخطيب مســـجد الســـنة في مدينة كورترك وســـت بلاندرن ببلجيـــكا، رئيس جمعية أئمـــة المجتمع البلجيكي، والذي اســـتضفناه في هـــذا الحوار وناقشـــنا معه أحوال المســـلمين في بلجيكا في ظل اعتراف الحكومة البلجيكية بالإســـلام أخيرا، وانعكاس هذا الاعتراف على دور العبادة من مساجد ومراكز إسلامية وتعليم، والشروط الواجب توفرها للاعتراف بهذه المســـاجد. كما تطرق الحوار للحديث عن ظاهرة الإسلاموفوبيا، وكيف يمكن الحد منها؟ ورؤيتـــه للخطاب الديني ومدى رضاه عنـــه، والجهود التي قامت بها الرابطة لخدمة الإســـلام والمســـلمين، وخاصة جهود معالي أمينها العام في نشر الوســـطية والاعتدال والتسامح الديني ونبذ التطرف والكراهية، فإلى نص الحوار:

• بدايـــة نرجو تعريف قراء مجلـــة الرابطة على بطاقة فضيلتكم الشخصية؟

هاني مســـتو، إمام وخطيب مسجد السنة في بلجيكا، رئيس جمعية أئمـــة المجتمع البلجيكـــي، أحمل درجة الماجســـتير في الفقه المقارن من جامعة دمشق، وأعمل في الحقل الدعوي ببلجيكا منذ عشرين عاما.

• ماذا عن مســـجد الســـنة في بلجيكا الذي تعمل إماما وخطيبا فيه؟

مســـجد السنة، تم إنشاؤه وتأسيســـه في الثمانينيات من القرن الماضي، والجالية المســـلمة التي تصلي فيه هي جالية مغربية من جنوب المغرب من الصحراء، وهو يقع في مدينة كورترك وست بلاندرن ببلجيكا، حيث أقوم بالإمامة والخطابة فيـــه وتدريس الأولاد اللغـــة العربية والعلوم الشرعية، إضافة إلى القيام بكل قضايا الجالية المسلمة، من زواج وطلاق ودعاوى وفض نزاعات وحالات وفاة، وغيرها من الخدمات الأخرى الكثيرة التي نقدمها للجالية المسلمة والمجتمع البلجيكي، والحث عـــلى نبذ الإرهاب والتطرف والكراهية، والدعوة إلى التسامح والعيش المشترك.

• كم عدد المســـلمين في بلجيكا؟ وكم عدد المراكز

والجمعيات الإسلامية؟

المسلمون في بلجيكا يشكلون قرابة ١١٪ من المجتمع البلجيكي البالغ ثلاثة عشر مليون نسمة، وعدد المسلمين قرابة مليون نسمة، أما المؤسسات الإسلامية الموجودة من مراكز وجمعيات فعددها كثير، ولا يمكن إحصاؤها بسبب أن الدولة تسمح بفتح هذه المؤسسات بدون تضييق على الناس، ولكن ضمن سمة التعاون والتعايش ونبذ العنف والتطرف.

• ماذا عن أوضاع المسلمين في بلجيكا وما الذي ينقصهم؟

أصبحت لدى المسلمين في بلجيكا مساجد كثيرة تفوق الأربعمائة مسجد، تقدم خدماتها بشكل دوري وتستقبل المسلمين وغير المسلمين عبر أنشطة دورية تظهر من خلالها سماحة الإسلام وقيمه وأخلاقه، والمسلمون في بلجيكا لا يتعرضون لضغوطات من أحد، ولكن عندما تحدث أحداث عالمية بعض الأحزاب اليمينية المتطرفة يعلو صوتها وتكشر عن أنيابها وتنظر للمسلمين نظرة كراهية، ولكن سرعان ما تهدأ بعد انتهاء هذه الأزمات والأحداث ويتم احتواؤها وتعود المياه إلى مجاريها والحياة إلى طبيعتها، خاصة أن المسلمين هم عنصر مهم ضمن

❖ جائزة المجمع الفقهي تنم عن الاهتمام بقضايا الأمة والتفهم لدور العلماء في إيضاح كثير من الأمور للمسلمين

❖ جائزة وثيقة مكة المكرمة تعد حافزا لأبناء وعلماء الأمة لمساعدة الأجيال على فهم دينهم وإسقاط هذا الفهم الصحيح على شخصية المسلم في جميع المجتمعات التي يعيشون فيها

النسيج المجتمعي في مجالاته العلمية والتعليمية والعملية والاجتماعية وعلى مختلف الفئات العمرية، وجل الجالية المسلمة تدرس في المدارس الرسمية الحكومية، وهذا المنهاج الحكومي هو المعتمد من قبل الدولة، ولكن بالنسبة للغة العربية والقرآن الكريم والعلوم الإسلامية فالدور

❖ نعمل على نبذ الإرهاب والتطرف والكراهية وندعو إلى التسامح والعيش المشترك

❖ اتفاقية التعاون تهدف إلى نشر خطاب إسلامي مستنير في مواجهة الفكر المتطرف وشعارات التصنيف والإقصاء

هنا يقع على عاتق المساجد والجمعيات الإسلامية، ولكن ينقص الجالية المسلمة ضعف الخبرات والكوادر التعليمية في هذا المجال، وقلة الإمكانات سواء كانت مادية أو وسائل تعليمية، فما زالت طريقة التعليم في هذه المساجد بدائية، وفي كثير من الأحيان لا تخرج بنتيجة.

• هل هناك أسباب أخرى أدت إلى ضعف المخرجات فيما يتعلق بالعملية التعليمية في المساجد عدا ضعف الإمكانات والكوادر؟

نعم هناك الخلافات بين المسلمين أنفسهم في مساجدهم، فنحن لدينا في بلجيكا مساجد للجالية المغربية، ومساجد للجالية التركية، ومساجد للجالية الباكستانية، وهم دائما في خلاف وسجال ومشاكل داخلية حول موضوع الانتخابات وموضوع عن من يترأس هذه الجمعيات الإسلامية أو هذه المساجد، وهذا بدوره انعكس سلبا على ضعف إنتاج أو مردود هذه الجاليات في تعليم أولادها وتقديم أفضل الإمكانات في المساجد. الأمر الثاني هو العامل المادي، فكثيرا ما تقع العديد من المشاكل في المساجد نتيجة العامل المادي، من خلال التشكيك في الحسابات والاختلاسات، وهذا أيضا بدوره يؤدي إلى إضعاف هذه المساجد، وإضعاف دورها في نشر العلم الشرعي واللغة العربية والقرآن الكريم في أوساط المسلمين في المجتمع البلجيكي، ومع ذلك هناك مساجد نجحت في عملها الديني والتربوي وفي إحداث فارق كبير من خلال طرق التدريس والبنى التحتية التي استطاعوا أن يحصلوا عليها، وهذا كله يعود إلى التحاب والتلاحم والاتفاق بين أفراد جماعة هذه المساجد وأعضاء إدارتها، عملا بقول النبي صلى الله عليه وسلم (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)، فلا يمكن للمسلمين أن ينجحوا، خاصة في مجتمعات هي في الأصل مجتمعات غير مسلمة إلا بالتحاب والتكاتف والتعاون، عملا بقوله تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب).

• ما انعكاس اعتراف الحكومة البلجيكية بالإسلام أخيرا على المساجد والتعليم ودور العبادة عامة؟

له انعكاس إيجابي كبير جدا على الإسلام والمسلمين، ومن أهم هذه الأمور الإيجابية أنه أصبح لهذه المراكز الإسلامية معين، فالأئمة تم الاعتراف بهم وتوظيفهم وتسلم رواتبهم من وزارة العدل البلجيكية، وكذلك المساجد أصبحت لها مخصصات وميزانيات سنوية تحصل عليها من قبل المحافظات الموجودة بها، مما أزاح عبئا كبيرا عن كاهل هذه الجماعات والقائمين على هذه المساجد من النواحي المادية. الأمر الثاني أصبح الوجود الإسلامي في بلجيكا على وجه الخصوص رسميا، له قوانينه التي تحميه ومؤسساته التي تدافع عنه، وهذا لم يكن موجودا في الماضي، وإنما كان عملا شعبيا جماعيا ليست له قوانينه وليست له أطر يسير من خلالها، وهذا كله انعكس بالخير والفائدة على الإسلام والمسلمين. الأمر الثالث من الأمور الإيجابية هو إضفاء صفة الحصانة والحماية على هذه المساجد والمؤسسات الإسلامية المعترف بها ضد سمة التطرف والإرهاب الذي طالما أرهق المسلمين في المجتمعات الأوروبية.

• كم عدد المساجد التي تم الاعتراف بها من قبل الحكومة البلجيكية؟

لدينا في بلجيكا منطقتان، الأولى تتحدث اللغة الهولندية والثانية تتحدث اللغة الفرنسية، فالتي تتحدث اللغة الهولندية تسمى بـ(الفلاندر أو الفلامان)، والمنطقة

الثانية التي تتحدث اللغة الفرنسية تسمى بـ(الوالون)، ففي منطقة الفلاندر تم الاعتراف بثمانية مساجد، وفي منطقة الوالون تم الاعتراف بـ٧٢ مسجدا.

• ما الشروط الواجب توفرها للاعتراف بهذه المساجد؟

هناك شروط يجب توفرها في هذه المساجد لتأخذ صفة الاعتراف، أولها ألا تكون لهذه المساجد سمعة سيئة في الأوساط البلجيكية من ناحية نشر التطرف أو الكراهية أو الغلو أو التشدد الديني بين المسلمين تجاه المجتمع البلجيكي، وثانيها أن تكون مواصفات هذه المساجد متطابقة مع المواصفات والمعايير الهندسية المتفق عليها، وثالثها أن يكون هناك تكتل إسلامي لا يقل عن ثلاثمائة شخص يستفيدون من خدمات المسجد أو المركز، وهناك شروط أخرى مدنية تتعلق بقوانين البلديات والمحافظات.

• ظاهرة الإسلاموفوبيا ما مدى وجودها في المجتمع البلجيكي؟ وكيف يمكن الحد منها برأيك؟

أولا: على المسلم أن يكون قويا في شخصيته لكي يقف صامدا أمام جميع التحديات التي تعترضه وتقف حجر عثرة أمامه بين الحين والآخر، ومن ضمن هذه التحديات ظاهرة الإسلاموفوبيا، وهي كراهية غير المسلمين للمسلمين تبعا للحوادث والملمات التي تحدث على الصعيد العالمي في هذا المكان أو ذاك. بالنسبة لبلجيكا هي بلد أوروبي كباقي البلدان الأوروبية ترتفع فيها نسبة الإسلاموفوبيا وتنخفض تبعا لما يحدث في العالم من صدامات وصراعات وحوادث أليمة، لكني أعتقد أن المجتمع البلجيكي هو من المجتمعات المميزة القادرة على احتواء هذه الظاهرة، نظرا لوجود المؤسسات المجتمعية والمدنية الفعالة والقادرة على الحد من انتشار هذه الظاهرة من خلال أنشطتها في أوساط المسلمين وغير المسلمين، ويستطيع المسلم أن يحد من ظاهرة الإسلاموفوبيا الموجهة ضده من خلال الشخصية المسلمة المتكاملة التي تقبل الحوار وتمد يدها لجميع الناس على اختلاف أطيافهم وميولهم وأعراقهم، للتحاور والتعاون والخروج بقاسم مشترك أو نتيجة مشتركة مبنية على الحوار وقبول الطرف الآخر.

❖ نثمن جهود معالي الأمين العام للرابطة في فتح الباب على مصراعيه للحوار مع الآخر وتقديم الإسلام الوسطي الذي ينسجم مع جميع العصور والأوطان

❖ الوجود الإسلامي في بلجيكا أصبح رسميا له قوانينه التي تحميه ومؤسساته التي تدافع عنه

• الخطاب الديني كيف تراه كإمام وخطيب؟ وما مدى رضاك عنه؟

الخطاب الديني لكي نخرجه من دائرة الاتهامات والشكوك التي تحوم حول الإسلام فلا بد لنا أن ننهج منهج الوسطية، وأن ننهج المنهج العلمي الذي ينسجم مع معطيات هذا الواقع والزمان الذي نعيش فيه، فمن عيوب الخطاب الديني التي وقع فيها صرف المسلمين الذين يعيشون في القرن الـ٢١ إلى العصور الأولى من الإسلام بدون الاستفادة منها وربطها مع الواقع الذي نعيشه، ومن عيوب الخطاب الديني التي وقع فيها أيضا عدم تأطير الخطباء وتأهيلهم تأهيلا شرعيا ينسجم مع الواقع والحياة العلمية التي يعايشونها كل يوم، فالخطاب الديني حتى يكون خطابا إيجابيا يستفيد منه المسلم وغير المسلم يجب عليه أولا أن ينبذ العنف والتطرف، وثانيا يجب أن يتفهم الواقع الذي يعيشه المسلمون يوميا، ويجب عليه ثالثا أن يربط بين الماضي والحاضر والمستقبل بما أراده الله سبحانه وتعالى في كتابه، وبما بينه النبي صلى الله عليه وسلم في سنته الحميدة، وما تقوم به رابطة العالم الإسلامي الآن إنما هو نتاج للخطاب الديني المتحضر الذي يقوم على هذه الأسس الثلاثة التي بينتها آنفا، وهي الوسطية وفهم الواقع وفهم الإسلام ونصوصه بداية ونهاية.

❖ اعتراف الحكومة البلجيكية بالإسلام انعكس إيجابا على الإسلام والمسلمين

• عـــلى ذكر رابطة العالم الإســـلامي كيف ترون الجهود التي تقوم بها لخدمة الإسلام والمسلمين؟

رابطة العالم الإسلامي تقوم بدور رائد منذ تأسيسها حتى الآن، لما تقدمه من خدمات جليلة للإسلام والمسلمين على تنوع بلدانهـــم ومجتمعاتهم، ومـــن هذه الخدمات الجليلة ما تقدمه الآن حقيقة من انفتاح على جميع البلدان والمجتمعـــات العالمية، من خلال إبراز صفة الوســـطية والتســـامح وتقبل الآخر والتعامل مـــع جميع المكونات للوصول إلى صفة عيش مشترك حقيقي يحمي العلاقات الإنســـانية والحضارية التي تجمـــع جميع بني البشر في بوتقة واحـــدة وفي صف واحد، وهو النهـــوض والقيام بتحقيق جميع القيـــم والأخلاق الحميدة التي بنيت عليها جميع الديانات.

• كيف ترون الجهود التي يقوم بها معالي الأمين العام للرابطة الشـــيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيـــسي في نشر الوســـطية والاعتدال والتســـامح الدينـــي والحث عـــلى التعايش الســـلمي بين أتباع الديانات والثقافات المختلفة ومحاربة ونبذ التطرف والكراهية؟

نحن نثمن هذه الجهـــود ونباركها، فهذه الجهود إن دلت عـــلى شيء فإنها تدل على صفة معـــالي الأمين العام للرابطـــة وأخلاقه الحميدة في فتـــح الباب على مصراعيه للحوار مع الآخر، وتقديم الإســـلام الوسطي الذي ينسجم مع جميع العصور والأوطـــان، والحوار مع أتباع الأديان الأخرى هو خطوة طيبة لكسر جميـــع الحواجز التي تم

وضعها بين الإسلام وبين أتباع الديانات الأخرى، وخاصة الذين ينظرون إلى الإســـلام بأنه دين إرهاب وأنه دين لا يعرف إلا القتل وسفك الدماء مع أن الحقيقة مغايرة لذلك تماما، فدين الإسلام هو دين قيم وأخلاق، يقول النبي صلى الله عليه وســـلم (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)، وهذا حقيقة ما أراد معالي الشيخ الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسي الأمـــين العام لرابطة العالم الإســـلامي أن يبينه ويوضحه لكل من أراد أن يشـــكك ويرتاب في حقيقة هذا الدين العظيم ويراهن على ضعفه وسقوطه وتلاشيه، بعد أن صمد ألفا وأربعمائة عام.

• كيف ترون إعـــلان الدورة الرابعـــة والأربعين للمجلس الأعلى للرابطة عن تأســـيس جائزة المجمع الفقهي، وما انعكاسها على البحث العلمي في مجال الفقه الإسلامي؟

أرى أنها خطوة رائدة ســـيكون لهـــا تأثير جيد على الباحثين لدفع هممهم إلى الأمـــام من أجل توضيح كثير من القضايا الشائكة والعالقة لعامة المسلمين، والتي هي بحاجة إلى تأصيل موضوعي وتوضيح فقهي بما يتناسب مع معطيـــات وقضايا الواقع والمجتمعـــات التي نعيش فيها، من خلال شـــحذ همم العلماء في جميع أنحاء العالم الإسلامي، وتسليط أقلامهم لما يفيد أبناء هذه الأمة في كثير مـــن القضايا الفقهية التي نام عنهـــا الكثير من العلماء. الشكر لرابطة العالم الإســـلامي ولمعالي أمينها على هذه البادرة المميزة التي تنم عن الاهتمام بقضايا الأمة وسعة التفهم لدور العلماء في إيضاح كثير من الأمور للمسلمين.

• ومـــاذا عن جائزة وثيقة مكـــة المكرمة، وهي الجائزة الثانية التي أعلن المجلس الأعلى للرابطة عن تأسيسها في الدورة الرابعة والأربعين؟

هي جائزة قيمة جدا ولها جوانب رائعة ومميزة، ومن هذه الجوانب أنها تعنى بصفة الإنسان التي بينها الله في القرآن الكريم، حيـــث قال (ولقد كرمنا بني آدم)، وتضع الأمور في نصابها الصحيح، وتقف ســـدا منيعا وحصنا متينا في وجه كل من يعبث في مفاتيح ومعايير الإســـلام باستخدام الكثير من مفرداته وآياته وأحاديثه ووضعها في غير موضعها، فهذه الجائزة ستكون محفزا لأبناء وعلماء هذه الأمة، لمســـاعدة الأجيال المتلاحقة عـــلى فهم دينهم وإسقاط هذا الفهم الصحيح على شخصية المسلم في جميع المجتمعات التي يعيش فيها، من خلال احترام شـــخصية الإنسان، واحترام خلق الله تبارك وتعالى في جميع مفرداته من حيوان ونبات وجماد.

حقائق علمية حول داء

كورونا

بقلم: الدكتور حذيفة أحمد الخراط
المدينة المنورة

بين حين وآخر تعلن وسائل الإعلام ظهور مرض جديد، ولا تلبث الأعداد المصابة بهذا المرض حول العالم أن تزيد شيئاً فشيئاً، وسرعان ما ينتشر ذاك الداء من موطنه الأم، ليعمّ أذاه أماكن جغرافية جديدة، وتبرز حينها حيرة الإنسان، ويظهر ضعفه المتناهي أمام إرادة أقدار الله سبحانه وتعالى، ويبدو جلياً عدم إحاطته الشاملة بالعلوم، ليحاول سبر أغوار هذا الزائر الجديد، علّه يجد حلاً لما نزل بساحته من جديد البلاء.

في مشارف ثمانينيات القرن الماضي ظهر داء جديد سرعان ما انتشر انتشار النار في الهشيم في أجزاء جغرافية كثيرة حول العالم، وعُرف هذا المرض في حينها بداء نقص المناعة المكتسبة (الإيدز)، الذي بقي الشغل الشاغل للعلماء، ومصبَّ اهتمام وزارات الصحة حول العالم، وكثر الجدل حول أسبابه، وطرق تشخيصه ومداواته، وأساليب الوقاية منه.

وبقي الداء الفتاك ذو الأصل الغامض (الإيدز) محطّ الأنظار العلمية سنوات عديدة، إلى أن ظهرت له لاحقاً أمراض منافسة جديدة، سرقتْ شيئاً من الأضواء المسلّطة نحوه، وقللتْ من نصيب العلماء من الاهتمام به، إلا أن داء (الإيدز) احتلّ موقع الصدارة في أعداد من أصيب به حول العالم، وذلك بالمقارنة مع الأعداد المصابة بالأمراض الحديثة التي نذكر منها: الجمرة الخبيثة، والحمى القلاعية، وجنون البقر، وحمى (إيبولا)، ومرض (سارس)، وغيرها.

وقبل أسابيع ليست بالكثيرة من الآن، أخذت تبدو لدينا بادرة ظهور داء جديد، بدأ على استحياء، ولم يكن ليؤبه به لولا أنّ الأنباء من حولنا أخذت تشير إلى تزايد أعداد المصابين تدريجياً حول العالم بهذا المرض الذي سرعان ما غادر موطنه الأم غازياً الكثير من دول العالم، إلى أن وصل بنا المطاف أخيراً فأصبح الداء الجديد حديث الساعة، والخبر الرئيس الذي لا تكاد نشرة أخبار تخلو من ذكره، سواء بظهور حالات جديدة، أو حدوث وفيات ناتجة عنه، وهو ما يدقّ نواقيس الخطر معلنة حدوث وباء عالمي جديد اسمه (داء كورونا).

البداية من الصين

بعد أشهر عدة من التعرف على داء (كورونا)، يتساءل الكثيرون عمّا يُعْرف بـ (المريض رقم صفر)، وهو مصطلح علمي ذو دلالة خاصة، يشير إلى أول مصاب تظهر لديه أعراض الإصابة بداء ما، قبل أن يتفشى هذا الداء وينتشر. وثمة في الحقيقة العديد من الروايات أو الفرضيات المتعلقة بمريض (كورونا) رقم صفر.

ترجّح الكثير من الدراسات أن باكورة وباء (كورونا) العالمي قد ظهرت في الصين، ويزعم هؤلاء أنه في أوائل

ديسمبر الماضي تقريباً، شعرت السيدة (وي) بائعة الأسماك في سوق (ووهان) بالصين ببعض الإرهاق، وبأعراض داء الإنفلونزا الذي اعتادته كل عام.

ثم إن المريضة أخذت تنشد العلاج، فذهبت إلى عيادة صغيرة، لتعود بعدها إلى العمل وكأنّ شيئاً لم يكن. ولم تكن تعلم تلك السيدة ما تخبئ الأقدار، وما وراء الأكمة من أخبار.

تقول السيدة (وي) مكملة سير الأحداث: «أعاني دائماً كلّ شتاء من أعراض الإنفلونزا. وحصلتُ على بعض الأدوية قبل أن أتقدم بطلب العلاج الطبي في المستشفى الحادي عشر في (ووهان) بعد أن شعرتُ بتعب شديد. وبعد أن تناولت بعض الأدوية المعالجة للإنفلونزا لم أتحسن بل شعرتُ بخمول زائد، وذهبتُ للمستشفى في اليوم السادس عشر من ديسمبر، وتمّ فحصي، وهنا كانت المفاجأة عندما قال الطبيب: «إنّ المرض لا يرحم، وإنّ العديد من الأشخاص الآخرين من سوق (ووهان) للمأكولات البحرية زاروا المستشفى بأعراض مشابهة».

خاضت «وي» رحلة العلاج بكامل مراحلها، وتمّ عزلها، وتعافت من الداء في شهر يناير، وأذيع بيان صادر عن لجنة الصحة في بلدية (ووهان) أنّ (وي) كانت من بين أوائل المرضى الذين ثبتت إصابتهم بداء الكورونا، وأنها واحدة من حالات مرضية غيرها ذات صلة مباشرة بسوق بيع الحيوانات في (ووهان). وتم في حينها إطلاع منظمة الصحة العالمية بالأمر والتحذير من ظهور حالة من الالتهاب الرئوي الناجم عن سبب غير معروف.

الداء يعبر قارات العالم

ما هي إلا أيام قليلات حتى غادر الداءُ حدودَ الصين ليغزو دولاً جديدة أخذت تعلن شيئاً فشيئاً وصول داء (كورونا) إليها، وظهور حالات جديدة سرعان ما أخذت تنشر العدوى من مكان إلى مكان، مما أنذر بظهور وباء عالمي وليد، لم يُحسب له حساب. ولم يكن ليخطر على بال أحد أن تتلاحق الأحداث بهذه الوتيرة المتسارعة، حتى يصبح مرض (كورونا) الطاعون الجديد.

ومن الدول التي نجح الفيروس في غزوها بقوة إيطاليا، إذ يرجّح الفريق الصحي أن داء (كورونا) قد وصل إليها قادماً من ميونيخ الألمانية في منتصف شهر يناير، وبذلك ظهر حينها (المريض رقم صفر). وفي منتصف شهر مارس الماضي، أصبحت إيطاليا بؤرة جديدة لتفشي طاعون (كورونا). وكانت هذه الدولة من أوائل الدول التي عَلَّقت رحلاتها الجوية القادمة من الصين، وذلك بعد أن تم تشخيص إصابة سائحَين صينيين بفيروس (كورونا) الجديد في روما.

أما في أمريكا فقد تمّ الإعلان عن أول حالة مؤكدة من داء (كورونا) في العشرين من شهر يناير الماضي. وكانت الضحية رقم صفر رجلاً من واشنطن عاد قريباً من (ووهان)، لتظهر عليه لاحقاً أعراض الداء الوليد.

وتشابهت دول أخرى كثيرة حول العالم مع إيطاليا وأمريكا، إذ سرعان ما غزاها الغازي الجديد، معلناً انتصاره على الحدود بين الدول، ونجاحه في تخطيها دونما حائل أو مانع.

فيروس (كورونا).. العدو المجهول

اتفق العلماء على تسمية الجائحة الحديثة التي يسبّبها فيروس (كورونا) باسم (داء كوفيد). وهذا الفيروس أحد عناصر مجموعة كبيرة من الفيروسات تُعْرف باسم الفيروسات التاجيةCorona Viruses ، وهو سلالة جديدة من الفيروسات التي تسبب المرض للحيوان والإنسان على حد سواء.

وقد تهاجم هذه الكائنات الجهاز التنفسي في جسم الإنسان، مسبّبة أمراضاً تتراوح حدتها بين نزلات البرد الشائعة والأمراض الأشد ضراوة، كما هو الحال مع متلازمة الشرق الأوسط التنفسية MERS التي ظهرت عام ٢٠١٢ م، ومن قبلها المتلازمة التنفسية الحادة (المعروفة باسم سارس SARS) التي انتشرت عام ٢٠٠٢ م.

تعود بدايات التعرف على الأمراض الناتجة عن الفيروسات التاجية إلى سنة ١٩٣٧م، إذ ظهر المرض حينها في شكل عدوى تصيب الطيور بالتهاب في شُعَبها التنفسية. ثمّ ظهرتْ سلالات فيروسية جديدة أصابت الماشية والخيول والقطط وغيرها من الحيوانات. ويعود اكتشاف أول حالة

بشرية مصابة بفـــيروس (كورونا) إلى فترة الســـتينيات الميلادية. وتمّ في ســـنة ٢٠١٢م عَزْل فيروس (كورونا) من رجل متوفى، وشوهد حينها الفيروس أول مرة تحت عدسات المجهر.

كثرت الأقاويل العلمية حول فيروس (كورونا) الجديد. وتقـــترح بعض الفرضيـــات العلمية الصينيـــة أنّ طيور الخفاش قد نقلت الفيروس إلى الثعابين التي نقلتْه بدورها إلى الإنســـان، ويؤيد صحة ذلك تشابه الشفرة الوراثية بين فيروس (كوفيد) البشري، وفيروس (كورونا) الذي يصيب طيور الخفـــاش، إلا أن ذلك لم يثبت حتـــى الآن بصورة قاطعة، ويبقى الأمر ضمن حدود الفرضية العلمية.

لا يتحمل فيروس (كورونا) درجات الحرارة المرتفعة، إذ يتلف تماماً خلال عدة دقائق عند درجة حرارة (٧٠) درجة مئوية. وتشير الدراســـات إلى أن هذا الفيروس قد يظل على الأسطح بضع ساعات أو عدة أيام، ويختلف ذلك باختلاف الظروف المحيطة به، كنوع السطح ودرجة الحرارة ومستوى الرطوبة. وعلى ســـبيل المثال يصمد الفيروس فوق الأسطح البلاستيكية والفولاذية ثلاثة أيام، وفوق الأسطح النحاسية أربع ســـاعات، وعلى الكرتون يوماً كاملاً، وعلى الورق عدة ساعات، وكذلك فإنه يبقى في الهواء ثلاث ساعات.

طرق العدوى والانتشار

مما يختص به داء (كوفيد) سرعة انتشـــاره، وسهولة انتقال العدوى به من الشخص المريض نحو الآخرين.

ولانتشار فيروسات هذا المرض وانتقال العدوى به بين الناس وسائل مختلفة. وأولى تلك الوسائل وأكثرها مشاهدة ما يُعْرف بعـــدوى القطـــيرات droplets، ويقصد بذلك انتشار القطيرات الصغيرة وذرات الرذاذ الحاملة للفيروس، التي تتناثر من أنف المريض أو فمه محمولة مع هواء الزفير، أو عندما يسعل المصاب أو يعطس.

وسرعان ما تنتشر هـــذه القطيرات في هـــواء الغرفة، لتلتقطها أجهزة تنفس الأشـــخاص القريبين من الشخص المصـــاب. وقد يحدث أيضاً أن تســـقط تلك القطيرات على الأســـطح القريبة، ويمكن حينهـــا أن يصاب الآخرون عند ملامستهم للســـطح الملوث، ونقل ما علق فيه من فيروسات نحو العين أو الأنف أو الفم.

ومن وســـائل العدوى الأخرى: استخدام اليد لمصافحة إنســـان مريض (وإن لم تظهر فيه أعراض المرض)، وقد يحدث هنا أن تتلوث يد الشخص السليم بفيروسات تحملها يد المصاب، مما قد ينقل العدوى نحو الآخرين.

أعراض المرض

يشير مصطلح «فترة الحضانة» Incubation period إلى المدة بين تعرّض الجســـم للإصابة بالفيروس حتى بدء ظهـــور أعراض المرض. وتتراوح فـــترة الحضانة الخاصة بمرض (كوفيـــد) بين يومين وأســـبوعين تقريباً، وهي في المتوسط خمسة أيام.

تتشـــابه كثيراً أعراض الإصابة بداء (كوفيد) الفيروسي مع غيرها من أعراض الأمراض التنفسية الأخرى، إذ يصاب المريض بارتفاع في درجة الحرارة (الحمى)، وقد يتصاحب ذلك مع ظهور نوبات من الارتعاش. كما يشـــكو المريضُ الســـعالَ، وألم الحلق، واحتقان الأنف، وصعوبة التنفس، وألم الصدر، إضافة إلى أعـــراض عامة قد تظهر في بعض المرضى تدريجياً، كالصداع والوهـــن العام وألم العضلات والغثيان والإسهال.

وقد يصاب بعضهم بالداء دون أن تظهر في أجســـامهم أعراضه الحادة المذكـــورة، ويتعافى هـــؤلاء دون الحاجة إلى تنـــاول علاج خاص، وهذا يعنـــي أن حدة الإصابة بداء (كورونا) عموماً تتراوح بين الخفيف العابر، والشديد القاتل في حالات أخرى.

وكما هو الحال مع كثير غيره مـــن الأمراض فإنّ آثار الإصابة بداء (كوفيد) تظهر أكثر شـــدة في أجسام المسنّين والمرضى المصابـــين بأمراض مزمنة أخرى، كأمراض القلب والداء السكري والسرطان ومرضى المناعة المنخفضة الذين لا تقوى أجسادهم على مكافحة الفيروس.

يعتمد التشخيص النهائي للإصابة بداء (كوفيد) الناتج عن فيروس (كورونا) على إثبات وجود الفيروس في العيّنات التي يُحصل عليها باستخدام مسحات Swab يتم أخذها من مفرزات مؤخرة الأنف أو الحلق.

الخطة العلاجية لداء (كوفيد)

يعتمد العلاج الناجع لداء (كورونا) على رفع مناعة الشخص المصاب، وتعزيز حالته الصحية العامة. وليس ثمة دور للمضادات الحيوية في القضاء على الفيروسات المسببة لهذا الداء، فهذه الأدوية لا تقضي إلا على الأمراض التي تسبّبها البكتيريا المختلفة، وليس من الحكمة اللجوء إلى استعمال المضاد الحيوي إلا وفقاً لتعليمات الطبيب المعالج الذي قد يرى ضرورة استعماله في حالات معيّنة.

وتضم قائمة وسائل رفع مناعة الجسم عناصر عديدة منها: شرب كميات وفيرة من السوائل، وتناول الأغذية الغنية بالفيتامينات والمعادن الأساسية، والحصول على قسط وافر من الراحة، والنوم ساعات كافية في الليل، وممارسة التمارين الرياضية بشكل منتظم.

ويجب عزل المريض في حال ثبوت إصابته بالداء، وذلك لوقاية مَنْ حوله من حدوث العدوى. ويتم في هذه الأثناء إعطاء الأدوية التي تعمل على تخفيف حدة الأعراض، كخافضات الحرارة، ومهدئات الكحة، ومسكنات الألم، ومزيلات الاحتقان، ومعالجة ما يشكوه المريض من عوارض الأمراض الأخرى في حال وجودها.

ويظلّ الأشخاص الذين ثبتت إصابتهم بهذا الداء في عزلة تحت رعاية طبية مباشرة إلى حين زوال أعراض المرض لديهم. وقبل أن يُصرّح لهم بالخروج من عزلتهم، تُجرى لهم فحوصات جديدة للتأكد من خلوّ أجسامهم من الداء.

وليست هناك حتى الآن بيّنة على وجود أدوية مخصّصة لعلاج داء (كوفيد) أو الوقاية منه، ولم يتوافر حتى يومنا هذا لقاح يقي من الإصابة به، ولا يزال الأمر قيد الأبحاث والتجارب المعملية، ولعلّ قادمات الأيام تغدو حبلى بمفاجآت سارة تنجح في القضاء على هذه الجائحة العالمية.

حول الوقاية من داء (كوفيد)

يعدّ داء (كوفيد) من الأمراض التي يمكن إلى حدّ بعيد -بإذن الله- الوقاية من الإصابة بها، والحدّ من انتشارها باتخاذ طائفة من الاحتياطات، ومن جملة ذلك:

١- الحرص على نظافة اليدين، فهما أكثر أعضاء الجسم تماساً مع الأسطح المختلفة المحيطة بنا، مما يعني سهولة التقاط اليدين للفيروسات التي سرعان ما قد تتنقل نحو العين أو الأنف أو الفم.

وتأتي نظافة اليدين تلك في رأس قائمة وسائل الوقاية من داء (كوفيد)، ويُنصح هنا بتنظيفهما باستخدام المطهّرات المخصصة لذلك، أو بغسلهما جيداً بالماء والصابون بغية قتل ما ينمو فيهما من الفيروسات. كما يجب التنبّه لعدم لمس العين أو الأنف أو الفم قبل التأكد من نظافة اليد بشكل جيد.

٢- تغطية الفم عند السعال أو العطاس باستخدام منديل ورقي يتمّ التخلص منه فوراً، ويهدف ذلك إلى الحدّ من انتشار الرذاذ والمفرزات المتطايرة من الأنف والفم باتجاه الأشخاص المجاورين، أو الأسطح القريبة.

٣- ترك مسافة كافية (تقدّر بمتر واحد على الأقل) بين الأشخاص المتجاورين. وتجنّب الاتصال المباشر مع مَن تظهر لديهم أعراض شبيهة بالمرض.

٤- لزوم المنزل، والتقيد بتعليمات الجهات الصحيّة المعنيّة التي رفعتْ شعار «الزم المنزل» «Stay at home» الذي غدا الآن التوصية الرئيسة لمنظمات الصحة ووزارات الصحة العالمية للوقاية من داء (كورونا).

٥- يُنصح بوضع الكمامة في حال الاضطرار إلى مغادرة المنزل، ولا سيما في الأماكن المزدحمة كالسوق مثلاً. وهنا يجب التنبيه إلى ضرورة استخدام الكمامة بالشكل الصحيح الذي يضمن تغطية كامل الأنف والفم منعاً لوصول الفيروسات إلى أجهزتنا التنفسية.

٦- عدم السفر إلى مكان موبوء بالمرض، والاستفسار من الجهات الصحية حول سلامة المكان المقصود قبل التوجّه إليه.

٧- التماس الرعاية الطبية والمشورة الصحية في حال الشك بظهور أعراض المرض. وقد خصّصت الجهات الصحية أرقام تواصل خاصة خدمة لهذا الغرض.

٨- الاطلاع المستمر على آخر تطورات المرض، ومتابعة نشرات الأخبار التي تمدّنا بالجديد المفيد، والتقيد بما يستجدّ من تعليمات مقدّمي الرعاية الصحية والالتزام بتوجيهاتهم.

الرطـــب هو الثمـــرة التي أمر الله سبحانه وتعالى السيدة مريم عليها السلام بأن تأكلها وتشرب من الماء حينما جاءها المخاض، وذلك بقوله تعـــالى «وَهُزِّي إِلَيكِ بِجِذعِ النَّخلَةِ تُسَـــاقِط عَلَيكِ رُطَباً جَنِيّاً * فَـــكُلِي واَشرَبِي وقَرِّي عَينَـــاً» (مريم :٢٥، ٢٦)، وتحتاج المرأة في ولادتها وبعد الولادة إلى عنـــاصر غذائية موجـــودة في الرطب والتمر، ولقد اكتشـــف العلماء أن بالرطب والتمر مادة تساعد في تنشيط انقباضات الرحم مما يسهل عملية الولادة، وهذه المادة تشبه هرمون أوكسيتوسين «Oxytocin» الـــذي تفرزه الغدة النخاميـــة بالمخ، ومن فوائد هذه المادة أيضاً أنها تساعد في تقليل نزيف الولادة كما تســـاعد في رجوع الرحم إلى حجمه الطبيعي، علاوة على أنها تسبب انقباضات القنـــوات الثديية التي تحتوي على اللبن، ممـــا يؤدي إلى إدرار اللبن ومنع تراكمه في الثدي.

فوائد

الرطب والتمر

لصحة الإنسان

د. محمد محمود العطار
جامعة الباحة

الصيام والرطب:

قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيكُمُ الصِيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (البقـــرة: ١٨٣)، الصوم في اللغة: الإمســـاك، قال تعالى: (إني نذرت للرحمن صوماً) (مريم: ٢٦) أي إمساكاً عن الكلام، والصوم في الاصطلاح الشرعي: الإمســـاك عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس مع النية.

وكان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يفطر على رطبات، فعن أنس رضي الله عنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وســـلم يفطر قبل أن يصلي على رطبات فإن لم تكن رطبات فتميرات، فإن لم تكن تميرات حسا حسوات من ماء» (رواه أبو داود والترمذي).

كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحض

على الفطر بالتمر، فإن لم يجد فعلى الماء، هذا من كمال شـــفقته على أمته ونفعها، فإن إعطاء الطبيعة الشيء الحلو مع خلو المعدة أدعى إلى قبوله وانتفاع القوى به.

والرطب حار رطب، يقوي المعدة الباردة ويوافقها ويخصب البدن. وفطر الصائم على الرطب أو التمر له فوائد كثـــيرة، فالصوم يخلي المعدة من الغذاء فلا يجد الكبد فيها ما تجذبه وترسله إلى أجزاء الجسم، والحلو أسرع شيء وصولاً إلى الكبد وأحبه إليها، ولا سيما إن كان رطباً فينشر قبوطاً له فتنتفع به القوى والأعضاء.

ويعتبر التمر أفضل الأغذية للإفطار، حيث يحتوي على مواد معظمها لا يحتاج إلى عملية هضم، فالسكريات الموجودة به سكريات أحادية، وهي سكر العنب وسكر الفواكه، تمتص امتصاصا سريعاً من الجهاز الهضمي إلى الدم، ولذلك فإنها تمد الجسم بالطاقة الحرارية في وقت قصير بعد تناول التمر. وتتميز هذه الســـكريات عن ســـكر القصب الذي نســـتعمله في تحلية الشاي وأنواع الحلويات المختلفة بأنهـــا لا تحتاج إلى عملية هضم، حيث تصل إلى الدم ومنه إلى المخ في وقت قصير، وهذا يؤدي إلى تهدئـــة الأعصاب والتغلب على الصداع الذي يشكو منه الصائم.

ويســـمى التمر أحياناً بالمنجم لكثرة ما يحتويه من العناصر المعدنية، مثل الفوســـفور، والكالسيوم، والبوتاسيوم، والحديد، والماغنســـيوم، والصوديوم، والكبريت، والكلور. كما يحتوي التمر على فيتامينات (أ)، و(ب١)، و(ب٢)، و(ب٦)، و(د)، و(ج)، وهـــذه الفيتامينات تحتاجهـــا الأم والطفل الرضيع في إجراء عمليات حيوية عديدة بالجســـم، مثل التمثيل الغذائي والنمو وتكوين وتجديد الخلايا، وبخاصة خلايا الدم التي تفقد المرأة جزءاً كبيراً منها بسبب نزيف الولادة، كما يحتوي التمر أيضاً على السكريات السهلة بسيطة التركيب.

والجدير بالذكـــر أن التمور تحتوي على معظم العناصر المعدنية التي يحتاج إليها الإنسان بوجه عام، وتحتاج إليها المرأة النفســـاء والمرضع بوجه خاص، وهذا يعـــوض الهيموجلوبين المفقود بســـبب نزيف الولادة، كما يساعد الحديد على عمليات حيوية أخرى بالجسم.

أطفالنا والتمر

يعتبر الرطب والتمر مصدراً غنياً للطاقة الحرارية، حيث يحتويان على السكريات الأحادية التي لا تحتاج إلى عملية هضم، وهي سكر العنب وسكر الفواكه، التي تمتص بســـهولة وفي وقت قصير من الجهاز الهضمي إلى الدم، والســـكريات الموجودة في التمر لا ينتج عنها تكوين غازات في الأمعاء، لأن هذه السكريات تصل من الجهاز الهضمي إلى الدم قبل أن تؤثر فيها الميكروبات الموجودة في الأمعاء، والتي تسبب تكوين الغازات.

والســـكر الموجود في التمر بسيط وسهل الهضم ومفيد للطفل المولود حديثاً، وإعطاء الطفل التمر عن طريق التحنيك يعطيه كمية من السكريات اللازمة له، وهناك فوائد من التحنيك بالتمر منها:

- التحنيك يقوي اللثة، ومهـــدئ للثة الطفل أثناء بزوغ أســـنانه، حيث يهدئ اللثة ويطريها ويســـهل خروج الأسنان.

- التمر مريح وآمـــن لمعدة الطفل وأمعائه ويمكن أن يُعطـــى عصير التمر إذا مزج مع الحليب وهو مقوٍ للأطفال.

- يؤدي إلى تخفيف بكاء الطفل وتخفيف الإحساس بالألم، ويكسبه المناعة اللازمة ضد الأمراض.

- إذا مزج التمر بالعســـل يعالج الإســـهال عند الأطفال.

فوائد الرطب والتمر لصحة الإنسان

لقد أثبتت الدراسات أن الرطب والتمر يتميزان باحتوائهمـــا على معظـــم العنـــاصر الغذائية التي يحتاجها جســـم الإنسان، بالإضافة إلى وجود مواد لها فوائد صحية عديدة، ومن العناصر المعدنية الموجودة بالتمور وتحتاجها الأم والطفل الرضيع الكالســـيوم والفوسفور، وهما ضروريان لسلامة وصلابة العظام وحماية الأسنان من التســـوس، كما يساعدان في نمو وتقوية عظام الطفل الرضيع ونمو أسنانه وحمايتها من الأمراض، بالإضافة إلى الوظائف الحيوية العديدة التي تتطلب وجود الكالسيوم والفوسفور.

ويحتـــوي الرطب والتمر على نســـبة عالية من الألياف التي تســـاعد في خروج البراز ومنع الإمساك، وهذا الشيء مطلوب قبل عملية الولادة، حيث يساعد تفريغ محتويات القولون في تســـهيل الولادة ومنع خروج البراز أثناء هذه العملية، ومن محتويات التمور أيضاً المواد الدهنية التـــي تعتبر مصدراً من مصادر الطاقـــة الحرارية، كما يحتاجها الجســـم في تكوين الخلايا بوجه عام وتكوين خلايا الأعصاب والمخ بوجه خاص.

كما يتميز الرطب والتمر باحتوائهما على الحموض الأمينية التـــي تحتاج إليها المـــرأة في فترتي النفاس والرضاعة، والحموض الأمينية هي لبنات للبروتينات والإنزيمات وكثير من الهرمونات التي تفرز بالجسم، ولذلك فإن للحموض الأمينية الموجودة في التمر أهمية كبيرة في بناء خلايا الجسم وتجديدها.

كما يتميز التمر بأنه لا ينقل الأمراض، حيث أثبتت الدراســـات الحديثة أن التمر وسط غير صالح لنقل جراثيم الأمراض، ولقد أثبتت الدراســـات الحديثة أن الألياف، وهي من محتويات التمر، تساعد في تخليص الأمعاء من المـــواد الضارة، ومن بينها مواد تســـبب الإصابة بسرطان القولون، ولقد أثبتت الدراســـات أن الأفراد الذين تحتوي أطعمتهم على نســـبة عالية من الألياف يكونون أقل قابلية للإصابة بسرطان القولون ونوعيات أخرى من السرطان، وذلك بالمقارنة بالأفراد الذين يفتقر غذاؤهم إلى الألياف.

ولا تقتصر فائدة التمر على الولادة والرضاعة فحسب، بل يفيد التمر الإنسان بوجه عام في جميع مراحل حياته، ســـواء كان في الطفولة أو الشباب أو الشيخوخة، وذلك لما له من قيمة غذائية عالية، حيث يمد الجســـم بالطاقـــة الحرارية ومعظم العناصر الغذائية التي يحتاجها، بالإضافة إلى أنه يساعد في الوقاية من الأمراض مثل الإمساك وفقر الدم وأمراض نقص البروتينـــات والفيتامينات والمعادن.

صناعة البسمة

في ضوء الهدي النبوي الشريف

د. آمال محمد حسن عتيبة
كلية التربية – جامعة أم القرى

الحمد لله القائل في محكم التنزيل على لسان نبيه سليمان عَليه السَلام: «فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ» (النمل، ١٩)، والصلاة والسلام على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين؛ أما بعد:

خلق الله تعالى الإنسان، وخلق أحواله، والإنسان يتقلب في هذه الأحوال التي خلقها الله سبحانه وتعالى فيه، فتارة يفرح وتارة يحزن، وتارة يضحك وتارة يبكي، ومن هذه الأحوال التي خلقها الله سبحانه وتعالى في الإنسان حالَي التبسم والضحك، ولقد وصف الله سبحانه وتعالى نبيه سليمان عَليه السَلام بالتبسم والضحك من كلام النملة؛ فقال: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا...﴾ (النمل، ١٩)، أي تبسم شارعاً في الضحك. والتبسم والضحك أمر فطري في الإنسان، والإسلام – بوصفه دين الفطرة – لم يمنع الإنسان من ميله إلى التبسم والضحك الذي هو من فطرته. كذلك تُعدّ الابتسامة إحدى لغات الجسد التي منحها الله لبني الإنسان، وهي وسيلة من وسائل الاتصال غير اللفظي لدى الكائن البشري.

التبسم في اللغة

والتبسم في اللغة مصدر للفعل الماضي تَبَسَّمَ/ وأصله

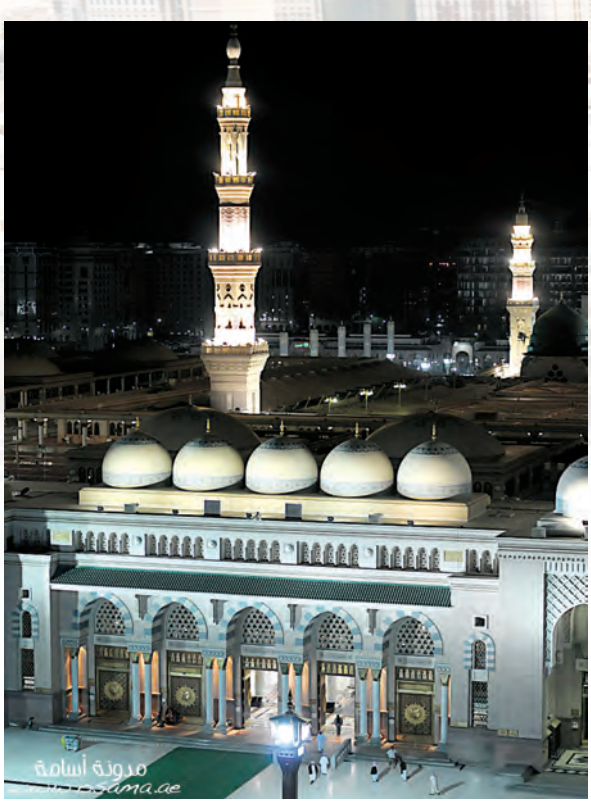

بَسَمَ. والباء والسين والميم أصل واحد، وهو إبداء مقدم الفم لمسرةٍ. يقال: بَسَمَ تَبْسِمُ بَسْماً، وتَبسَّم بَسُماً؛ إذا فتح شفتيه كالمُكاشِر (المُبتسم).

يقال: هو باسمٌ وبَسَّامٌ كشداد، وهو وهي مبْسَامٌ، ومعنى الأخيرين: كثيرُ التبسم، وَبَسَمَ وتَبَسَمَ وابْتَسَمَ بمعنى واحد. والتبسم أول مراتب الضحك، وهو أقل الضحك وأحسنه (الصحاح وتاج العروس).

والمعنى أن التبسم هو إبداء مُقدَّمُ الفم بسبب

السرور، وأنه أول مراتب الضحك وأقله وأحسنه. وهو عبارة عن انفراج الشفتين وبروز الأسنان مع انبساط الأسارير.

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني: «قال أهل اللغة: التبسم مبادئ الضحك، والضحك انبساط الوجه حتى تظهر الأسنان من السرور، فإن كان بصوتٍ وكان بحيث يسمع من بُعدٍ فهو القهقهة، وإلا فهو الضحك، وإن كان بلا صوتٍ فهو التبسم. هذا وقد يتداخل التبسم والضحك في المعنى، بحيث يطلق الضحك ويراد به التبسم، ولهذا تجدر الإشارة إلى ما يميز التبسم عن الضحك:

o التبسم هو أول الضحك ومبادئه وبالتالي يطلق على التبسم أنه ضحك.

o تتميز الابتسامة بأنها هادئة مقارنة بالضحك، الذي يتسم بوجود نشاط عضلي وصوتي أكبر.

o التبسم هو تعبير بليغ عن الشعور بالرضا والارتياح والاستحسان، أما الضحك فيستلزم قدراً من المفاجأة التي تتداخل مع نوع من المفارقة.

o التبسم حالة دائمة وهو نوع من الضحك اللطيف، بينما الضحك حالة مؤقتة.

o التبسم ممدوح وإن تكرر دائماً أو زاد المبتسم في ابتسامته بحيث تظهر أسنانه، أما الضحك فكثرته وتكراره لا يمدحان كثيراً خاصة إذا بلغ القهقهة.

فوائد التبسم للنفس:

إن المسلم في حياته تعتريه أكدار وهموم وأحزان وغموم، مما يحتاج حقيقة إلى من يجلو حلكتها، ويخترق ظلمتها بشيء من الابتسامة الرفيعة والضحكة المتزنة والدعابة المرموقة. والجدّية سمة بارزة في حياة المسلم، وهي مطلب ملح وأمر مهم، فإذا كانت صارمة فإنها لا تزرع الابتسامة على الوجه، ولا تدخل السرور على النفس. إن البلسم الناجع والدواء النافع في ترويح النفس وطرد الآلام وتخفيف الأحزان عن المسلم، رسم الابتسامة على شفتيه بضحكة متزنة ودعابة بريئة وابتسامة مشرقة. فإن للتبسم آثاراً طيبة تعود على النفس، فقد كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يمتلك قلوب أصحابه رضي الله عنهم بابتسامته المشرقة اللطيفة، كما كانت بسمته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سبباً في كسب ودهم والتفافهم حوله، وإقبالهم على دعوته واستجابتهم لأمره.

ومن هنا فإن الابتسامة مهمة في مجال الدعوة إلى الله تعالى؛ لأنها مفتاح للقلوب المؤصدة، ولها تأثير عجيب في المدعوين، وهي من الدفع بالتي هي أحسن الذي ذكره الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم، والذي يجعل - كما أخبر تعالى - العدو صديقاً حميماً، ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (فصلت: ٣٤). فقد بين الله تعالى فضيلة الدعوة إلى الله وأنها أحسن الأعمال، ثم أعقب ببيان ضرورة إظهار الأخلاق الحسنة، ومنها الابتسامة، فما أحوج الدعاة إلى الابتسامة الحانية والأسارير الجاذبة، الدالة على التواضع المؤدي إلى القبول والارتياح لدى المدعوين، فإن الابتسامة تؤثر في المدعوين أكثر من المواعظ والكتب؛ ولذا حث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على التبسم ورغب فيه، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَبَسُّمُك في وجهِ أخيك صدقةٌ» (الترمذي). إنها صدقة لا تكلف ديناراً ولا درهماً، ولا تستهلك جهداً، ولا تأخذ وقتاً، ولكنها تفوق العطاء المادي، وتؤثر في النفس تأثيراً إيجابياً، وتنشر المحبة والتفاؤل في الآخرين.

قال ابن حبان: «الواجب على المسلم إذا لقي أخاه المسلم أن يسلم عليه مبتسماً إليه، فإن من فعل هذا تحاتَّ عنهما خطاياهما كما تحات ورق الشجر في الشتاء إذا يبس وقد استحق المحبة من أعطاهم بِشر وجهه» (روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لابن حبان).

ومن تأثير التبسم على النفس أيضاً، أنه يكسب صاحبه جمالاً وحسناً ورونقاً، ولذلك عندما وصف عمر

بن الخطاب رضي الله عنه جمال ضحك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «فضحك وكان من أحسن الناس ثغراً» (مسلم). وذكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه جمال فم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان مرتبطاً بضحكه مما دل على الجمال الذي يكسبه الضحك للإنسان حال ضحكه.

كما أن التبسم يساعد على تحسين المزاج والحالة النفسية للشخص، ويبعد عنه جو التوتر والقلق والكآبة. وكذلك من آثار التبسم على النفس تحقيق الإيجابية، كما يعزز التنفس والدورة الدموية، ويقلل هرمون التوتر في الجسم وينشط الجهاز المناعي وبذلك تزيد القدرة على مقاومة العدوى والأمراض، كما أن الضحك يساعد على إفراز مادة الإندروفين وهي مسكن طبيعي للآلام الجسمية تمنح الإنسان شعوراً بالسعادة.

الابتسامة طريق مختصر لكسب القلوب، ومفتاح لهداية الكثيرين، وباب يوصل إلى النفوس، وهي وسيلة حية للتعبير عما يجول في خاطر الإنسان تجاه أخيه المسلم. والابتسامة علامة قوية تُستخدم للاقتراب وحسن التوجيه والتودد للآخرين، وهي تعبير صادق ورونقُ جمال وإشراقة أمل تَميّز بها الإنسان عن باقي الكائنات الحية لتضفي على وجهه قمة الراحة وذروة الانشراح ونهاية الانبساط .

فوائد التبسم للمجتمع:

ما أجمل أن تنتشر البسمة في المجتمع المسلم، حتى تُخَفِّف كثيرًا من الآلام التي يعيشها الناس في حياتهم اليومية، وليس بالضرورة أن يكون المرء خاليًا من الأزمات والمشاكل حتى يبتسم؛ إذ كان رسولنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يبتسم دومًا، رغم الأحزان التي كانت تلاحقه من آنٍ لآخر، وكانت البسمة إحدى صفاته التي تحلّى بها، حتى صارت عنوانًا له وعلامةً عليه، وكان لا يُفَرِّق في حُسْن لقائه وبشاشته بين الغنيّ والفقير، والأسود والأبيض، حتى الأطفال كان يبتسم في وجوههم ويُحسن لقاءهم، يعرف ذلك كل من صاحبه وخالطه، فعن عبدالله بن الحارث رضي الله عنه قال: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ تَبَسُّمًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» (رواه الترمذي، وصححه الألباني).

وكما أن للتبسم فوائد وآثاراً إيجابية على النفس، فله أيضاً فوائد وآثاراً إيجابية طيبة على المجتمع؛ فالمجتمع الذي يتصف أفراده بهذه الصفة – صفة التبسم – تنتشر فيه المحبة والألفة، والمحبة إذا سادت بين أفراد المجتمع كافة، تؤدي إلى الكثير من الأمور التي يحتاجها الأفراد والتي من خلالها يتلاحم أفراد هذا المجتمع. كما يتسم المجتمع الذي يمتاز أفراده بالتبسم بالتعاون والتكاتف والإنجاز؛ فإن للابتسامة أثراً نفسياً عجيباً في الإخلاص والإنجاز وتحمل أعباء العمل والوفاء بمتطلباته، وهذا بدوره يؤدي إلى التعاون والإنجاز الذي يسعى إليه كل مجتمع من المجتمعات.

كذلك من الآثار الإيجابية التي تفعلها الابتسامة، قلة حدوث المشكلات في المجتمع؛ فالابتسامة تساعد في احتواء غضب الآخرين، فيعود نفعها على الجميع، فتقل الخلافات بين الأسر والأفراد. وسيأتي بنا ذكر مواقف من حياته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكيف أنه كان يحتوي المشكلات ويمنع حدوثها بالابتسامة العذبة من محياه.

كذلك فإن الابتسامة باب من أبواب كسب الخير والصدقة، وسبب في كسب مودة الناس ومحبتهم ورسم الابتسامة على وجوههم، وتبعث على الاطمئنان بين المسلمين، وتصفي القلوب من الغِلّ والحسد، وتجدد في النفس النشاط، وكذلك فهي مظهر من مظاهر حسن الخلق الذي يدعو إليه الإسلام.

التبسم في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم

لقد أكرم الله سبحانه وتعالى نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأخلاق كريمة وزكاه بها فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤)، ومن الأخلاق العظيمة التي كانت ملازمةً له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التبسم والبشاشة في وجوه الناس، فلقد أرسى النبي صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا الخلق الرفيع في الناس وعلم البشرية كلها هذه اللغة العالمية الجميلة التي لا تحتاج إلى ترجمان؛ وذلك من خلال حياته كلها قولاً وفعلاً وإقراراً، فكانت البشاشة تعلو وجهه دائماً، والابتسامة لا تفارقه. فقد كان تبسمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الصفة الدائمة الغالبة على أحوال ضحكه، فكان ضحكه التبسم، فقد أخرج الإمام البخاري - رحمه الله – في صحيحه بسنده عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «ما رأيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مستجمعاً قط ضاحكاً، حتى أرى منه لهواته، إنما كان يبتسم». ويؤيده ما أخرجه الترمذي في سننه بسنده عن عبدالله بن الحارث بن جزء رضي الله عنه قال: «ما كان ضحك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا تبسماً». وفي ذلك يقول الحافظ العراقي في ألفية السيرة النبوية:

لمْ يُرَ ضَاحِكًا بِملْءِ فِيْهِ
ضَحِكُهُ تَبَسُّمٌ يُبْدِيه

وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتبسم لأهل بيته ويلاطفهم حتى في أحلك الظروف والمواقف، كما كان يتواضع لأصحابه ويشاركهم في فرحهم وضحكهم بابتسامته الجميلة المشرقة، وهذا يدل على حسن أخلاقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وفي ذلك يقول الحافظ العراقي في ألفية السيرة النبوية:

يَعْجَبُ ممَّا يَعْجَبُ الجَليسُ منْهُ، فَمَا بوَجْهِه عُبُوسُ
أَصْحَابُهُ إذْ يَتَنَاشَدونَا بينهُمُ الأَشْعَارَ يَضْحَكُونَ
ويَذْكُرُونَ جَاهِليَّةً، فَمَا يَزِيدُ أنْ يَشْرَكُهمْ تَبَسُماَ

ولم تكن بسمة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مقتصرة على الكبار فحسب، بل كان للصغار أيضاً منها نصيب، فهذا عبدالله بن الزبير رضي الله عنه يأتي للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو ابن سبع أو ثماني سنين فيبتسم له النبي حين يراه. وهذا أنس بن مالك رضي الله عنه، الذي خدم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو صغير عشر سنين، يقول: «كانَ رَسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ مِن أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا، فأرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لا أَذْهَبُ، وفي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِما أَمَرَنِي به نَبِيُّ الله صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، فَخَرَجْتُ حتَّى أَمُرَّ علَى صِبْيَانٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ في السُّوقِ، فَإِذَا رَسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ قدْ قَبَضَ بقَفَايَ مِن وَرَائِي، قالَ: فَنَظَرْتُ إلَيْهِ وَهو يَضْحَكُ، فَقالَ: يا أُنَيْسُ أَذَهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ؟ قالَ قُلْتُ: نَعَمْ، أَنَا أَذْهَبُ، يا رَسولَ اللَّهِ». (صحيح مسلم).

الابتسامة في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم

بوَّب الإمام البخاري في صحيحه: باب: (التبسم والضحك)، وجمع أحاديث كثيرة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذلك. وكذلك جمع الإمام مسلم في (صحيحه) أحاديث في التبسم، بوَّب لها الإمام النووي في كتاب (الفضائل): «باب: تبسمه وحسن عشرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، وكل ذلك يدل على البشاشة والابتسامة التي كانت تلازم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن تلك الأحاديث:

- عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَبَسُّمُكَ في وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ» (رواه الترمذي، وصححه الألباني). قال الإمام المناوي «تَبَسُّمُكَ في وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ» يعني: إظهارك له البَشَاشَة والبِشْر إذا لقيته، تؤجر عليه كما تؤجر على الصَّدقة. وقال الإمام ابن بطَّال: «فيه أنَّ لقاء النَّاس بالتَّبسُّم، وطلاقة الوجه، من أخلاق النُّبوة، وهو مناف للتكبُّر، وجالب للمودَّة».

- وعن جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه قال: «مَا حَجَبَنِي رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلَا رَآنِي إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي» (مسلم).

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنكم لن تسَعُوا النَّاسَ بأموالِكم،

ولكن يسَعُهم منكم بسْطُ الوجهِ وحسنُ الخلقِ» (رواه الحاكم).

- وفي الحديث «أنَّ رجُلًا جاء إلى رسـول الله صلَّى اللهُ عليه وسـلَّم فقال يا رسولَ الله أيُّ النَّاسِ أحَبُّ إلى الله وأيُّ الأعمالِ أحَبُّ إلى الله عزَّ وجلَّ فقال رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: أحَبُّ النَّاسِ إلى الله أنفعُهم للنَّاسِ وأحَبُّ الأعمالِ إلى اللهِ سُرورٌ تُدخِلُه على مُسلِمٍ أو تكشفُ عنه كُربةً أو تقضي عنه دَيْنًا أو تطرُدُ عنه جوعًا» (رواه الطبراني في الكبير).

-عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه، قال: قال لي النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ: «لا تحقِرَنَّ من المعروفِ شيئًا ولو أنْ تلقى أخَـاكَ بوجهٍ طَلْـقٍ» (رواه الحاكم والبيهقي في شعب الإيمان).

مواقف باسمة في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم

لقد كان رسول الهدى ونبي التقى محمد بن عبدالله صلوات ربي وسـلامه عليه مـن أشرح الناس صدرًا وأعظمهم قدرًا، وأعلاهم شرفا وأبهاهم وجها، وأكثرهم تبسـما صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما كان يتكلف الضحك، ولا يختلق الابتسـامة، بل كان يمتلك نفوس أصحابه رضي الله عنهم بابتسـامته المشرقة، وضحكته البريئة، الهادئة اللطيفة، ليكسب قلوبهم ويفوز بودهم، ليقبلوا على هديه، ويرتضوا نهجه، ويجيبوا دعوته.

- عن صهيب رضي اللـه عنه قال: قدمت على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ وبين يديه خبز وتمر فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ أدن فكل، فأخذت آكل من التمر فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ تأكل تمرا وبك رمد قال: فقلت إني أمضغ من ناحية أخرى فتبسـم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» (رواه ابن ماجة).

- عن أنس بـن مالك رضي الله عنه، قال كنت أمشي مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعليه رداء نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجذبه جذبة شديدة، قال أنس: «فنظرت إلى صفحة عاتق النبـي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أثرت به حاشية الرداء من شدة جذبته، ثم قال: مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت فضحك ثم أمر له بعطاء» (رواه البخاري).

- عن أنس بن مالك رضي الله عنه: «أن المسـلمين بينما هم في صلاة الفجر من يوم الإثنين وأبو بكر يصلي لهم لم يفجأهم إلا رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد كشف سـتر حجرة عائشة فنظر إليهم وهم في صفوف الصلاة ثم تبسم يضحك» (رواه البخاري).

- وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: «كان رجل من المشركين قد أحرق المسلمين في غزوة أحد. فقال لي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ: «أرم فداك أبي وأمي، قال: «فنزعت له بسـهم له نصل، فأصبت جنبه فسقط وانكشفت عورته، فضحك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» (رواه الطبراني في الكبير) .

- يقول فضالة بن عمير الليثـي: قدمت على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ عام الفتح وهو يطوف بالكعبة، وكنت أريد قتله، فلما اقتربت من الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لي: «أفضالة؟ قلت: نعم فضالة يا رسول الله، قال: «ماذا كنت تحدث نفسك؟ قلت: لا شيء، كنت أذكر الله، قال: فضحك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم قال لي: استغفر الله، ثم وضع يده على صدري، فوالله ما رفعها حتى ما من خلق الله شيء أحـب إليّ منه» (الإصابة في معرفة الصحابة لابن رجب).

وأخيرا فهذه دعوة للابتسامة في ضوء الهدي النبوي الشريف، فليحرص كل منا على الابتسـامة الصادقة الصافية التـي تعكس ما في القلب من محبة وتآلف، وتغرس الألفة والمحبة بين الناس، بالإضافة إلى كونها سنة نبوية، ووسيلة دعوية، ومفتاحًا للقلوب، وكنزًا عظيمًا تنفق منـه على أهلك وإخوانك وجيرانك، وكل من تقابله وتدعـوه، وصدقة لا تكلفـك دينارًا ولا درهمًا، وهي قبل كل ذلك لك صدقة، تدخرها عند الله سبحانه وتعالى.

التفكير بالمصير في صخب كورونا!

بقلم: هاشم علي حامد
أديس أبابا - إثيوبيا

هذه تأملات بين يدي جائحة كورونا، وقد رأيت الناس يموتون بالمئات، ويرحل الناس دون تشييع. منظر التوابيت تنقلها الشاحنات، حتى إن الناس تحدثوا عن أزمة في مقابر تضم هذه الجثث.

قناعة الموت كانت تجري في الناس مجرى الشك ولكن كورونا جعلها أقرب من الشك إلى الحقيقة.

هذه الجائحة التي أهمل الإنسان بسببها كل ملماته، حيث لا شاغل سواها. ويل لمن يكون مرضه غير كورونا هذه الأيام، حيث لا يجد من يلتفت إليه!

ربما هي اعتبارات في نظام الكون وسنن الحياة لتصحيح غفلة الإنسان.

لقد بكت الحياة مرتين، الأولى حينما خرج الإنسان إلى فضاء الكون فكُتمت الأنفاس وصاح الصغير، والأخرى وقد تفشى كورونا والحياة في مسار علوها، وتيهها، ولهوها، وصخبها، فكان هجوم كورونا.

ليس هناك محصن من قدر الموت، لكن الإنسان في غفلته نسي أن الموت الذي يهابه هو واقع، ليس بسبب كورونا، ولكن كورونا ربما تكون أحد أسبابه، أصدق ما يقال في معية الموت قول الله تعالى:

«وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا».

والإنسان في مواساة أخيه الإنسان يقول «كل من عليها فان»... هذه حال الدنيا... كلمات نُخفف بها أحزاننا على كل فقيد يرحل عن دنيانا... الدنيا سميت دنيا لأنها دانية غير دائمة. والموت يُنكره الناس عندما يبكون ويصمتون حزنًا غالبًا، وهو اليقين الذي ينتظر كل إنسان مهما طال به العمر، بل هو مآل من سبقونا من الأمم والأجيال...

الإنسان لا يريد ذكر الموت، بل لا يُريد الاعتراف بأنه مصير كل مخلوق... الموت غريب فقط لكونه يأتي بغتة، ويخطف بغتة دون مشاورة للمخطوف أو من يحيطون به من أهل وأحباب. تخيل لو كان هناك تنسيق بين الموت والبشر، هل يكون الحزن هو ذات الحزن الدنيوي على فراق الأحبة؟!

وهل يكون الموت هو ذلك الكابوس الذي نهابه ولا نُريد سماع اسمه؟ الله تعالى جعل الموت غيباً لحكمة ربانية في الفناء والبقاء وعمارة الأرض. ينسب إلى الحسن البصري قوله: «ما رأيت يقينا لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه إلا الموت»، وهو يدل على عدم الاتساق بين الإنسان والتفكير الصحيح في المصائر.

نحن نحتاج إلى فكرة جديدة في التعامل مع الموت. ينبغي أن ننظر إليه غاية من الغايات لا أمرًا طارئًا أو عارضًا. نتعايش معه كشيء أصيل في حقائق الوجود، فلكل أجل كتاب.

نحن محتاجون لترسيخ قناعة الموت، باعتباره التدرج الطبيعي في مسير الإنسان ومصيره...

نحن محتاجون لهذه النظرة لرحيلنا وتذكر انتقالنا نحن الصاخبين حينما يأتي الأجل. فكما جئنا نذهب وكما ابتسمنا ونحن رضع في كنف الحياة فلنبتسم ونحن في وداع الحياة، أكان وداعًا بكورونا أو بغيرها!

بهذه الفكرة والنظرة لوجودنا في الحياة، نعمل على تطبيع صلتنا بالموت ولا نهابه، بل نغني له ولحياتنا غناء ذلك الشاعر الحكيم:

أآملُ أن أحيا وفي كل ساعة
تمرّ بي الموتى تهزّ نعوشها
وهل أنا إلا مثلهم غير أنَّ لي
بقايا ليالٍ في الزمان أعيشها

من الفن الإسلامي